رواية

حَسَن الحَلبي

كيان للنشر والتوزيع

رجل يكره الأحذية

حسن الحلبى

رواية

رجل يكره الأحذية

رواية

تأليف :

حسن الحلبي

رقم الإيداع: 19377/2014

الترقيم الدولي: 978-977-6376-64-9

إشراف عام:

محمد جميل صبري

نيفين التهامي

***

كيان للنشر والتوزيع

22 ش الشهيد الحي بجوار مترو ضواحي الجيزة – الهرم

هاتف أرضي: 0235688678

هاتف محمول: 01005248794-01000405450-01001872290

بريد إلكتروني: info@kayanpublishing.com - kayanpub@gmail.com الموقع الرسمي : www.kayanpublishing.com
© جميعُ الحقوقِ محفوظةٌ، وأيُ اقتباسٍ أو إعادةِ طبع أو نشر في أي صورةٍ كانتْ ورقيةً أو الكترونيةً أو بأيةِ وسيلةٍ سمعية أو بصريةٍ دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

إهداء ١

إلى الانتظار !

إهداء ٢

إلى كل من ينتظر : لا تفعل !

إهداء ٣

إلى كل من سئم الانتظار : افعل شيئاً !

-١- لأنَّني

الشمس كريهة ، تقتحم عينيّ بلا استئذان ، وتوقظني ..

ما هذا بالضبط ؟!

يوم يبدأ بشمس مباغتة وقحة سليطة اللسان ؛ هو يوم عنيف وقليل التهذيب .. أخشى أن أتشاجر مع نفسي الآن ..

أتثاءب .. أفتح فمي كفرس نهر قذر ، لا بدّ أن أمعائي تبدو بشكل واضح لأي شخص على سطح الكرة الأرضية.. لا تشمئز فهي فارغة ، والله فارغة ..

منذ أمس لم آكل شيئاً ، هذا معتاد ..

أهرش جسدي ، هذا النمل الذي يشاركني فراشي محبوب وأليف ، ولكنه لا يراعي خصوصيتي أحياناً .. يضطرني لقتله ، رغم أنّني لست مجرماً ..

هل أسلم نفسي للشرطة ؟!

كلا ، الأمر لا يستحق .. كلّ ما هنالك أنني ملك البيت ، أنا ملك البيت .. أنا ..

أخرج هاتفي المحمول المزود بالإنترنت ، بالمناسبة ؛ أتمنى أن أترك عملي كي أعمل في الإنترنت .. قال لي بعض الزملاء إن العمل فيها مربح .. أظنها شركة كبيرة هذه الإنترنت ؛ ربما كان الدوام ست ساعات فقط ، أو ثمانية، مع

استراحة ، وفنجان قهوة على حساب المدير، وضحكات غير بريئة مع بعض الزميلات غير المحجبات ..

كلا ، هذه الأجواء لا تناسبني على الإطلاق !

أدخل الفيسبوك من هاتفي ، أحبّ هذا الفيسبوك .. إنه الشيء الوحيد الذي يربط (كارول) بي ..

أحبّ (كارول) ، إنها فتاة جميلة اختارتني من بين الجميع، ربما لأنني أخبرتها أنني أستاذ في الفيزياء بجامعة ما .. طبعاً لم أرسل لها صورتي ، وهي أيضاً لم تفعل.. هي الجميلة ، هي ملكة المطر والريح !

(كارول) ملكة ؛ لك أن تصدق هذا أو لا تصدقه .. رغم أنني لا أعرف ملامحها إلاّ أنني أظنها تشبه الجميلة (أنجلينا جولي) .. أحب (أنجلينا) أيضاً ، أشعر أنها ابنة خالتي وأن الزمن أبعدنا عن بعضنا منذ الطفولة ، لظروف خارجة عن إرادتنا ..

أترك لها رسالة على حائطها ، أخبرها فيها أنني أحبها كما يحب الأطفالُ درّاجاتهم الهوائية !

أنهض من السرير وأتوجه إلى الحمام ، أفرغ مثانتي الممتلئة بلا سبب منطقي وأشعر براحة غريبة ؛ يبدّدها سريعاً صورة الأحذية الكثيرة التي سأمسحها اليوم ..

على فكرة : أنا رجل أكره الأحذية !

رغم هذا فإن عملي كماسح للأحذية يوترني دوماً ، يتعبني ، يرهقني ، يضعضعني ..

ليس معي شهادة جامعية رغم أنّني درستُ الفلسفة في الجامعة ثلاث سنوات .. الفلسفة تخصص جميل رغم أنه في غاية البشاعة ، تخصص نظيف رغم أنه في قمة القذارة ، والأجمل من هذا كله أنك لا تفهم شيئاً من زملائك ، وهم مثلك تماماً !

دراستي كانت على حساب أحد رجال الخير السعوديين الذين يزدحم (تويتر) بهم ، قبل أن يصدمني بقراره عن توقف تمويله لي ، بسبب اختلافه معي سياسياً ، عقب تغييري لصورة (البروفايل) !

هذا الخلاف جعلني أتوقف عن الدراسة .. بعدها حاولت بشتى الطرق إيجاد أي ممولّ أو داعم لي كي أكمل، دون جدوى .. كلّ صاحب مال – هنا- يخاف على أمواله بشكل غريب ، ويعضّ عليها بالنواجذ ، كي لا يمنح الآخرين شيئاً ، حتى ولو على سبيل الدَّين !

أفتح خزانة ملابسي كي أنتقي شيئاً أرتديه لهذا النهار ، لا شيء هنا للأسف .. الخزانة نصف فارغة كما هي منذ شهر ، لا أدري السبب الذي جعلني أتبرع بنصف ملابسي لأحد الفقراء .. أشعر أنني -رسمياً- أعدّ واحداً منهم .. مهنتي تشهد بهذا ، شكلي يقول هذا ، لحيتي المتناثرة بلا انتظام تصرّح بهذا ، بيتي المكون من غرفة ومطبخ وحمام بحجم (ماوس) الكمبيوتر يهتف بهذا ، النقود التي أحصّلها كل يوم تصرخ بهذا !

أسمع صوتاً من خلفي فجأة ، أنظر ولكني لا أرى أحداً.. هذا متوقع من شخص يعيش في عزلة .. ما الأمر إذن ؟! هل يسكن معي جني أو شيطان ؟!

أقول :

- أظهر نفسك ، أرجوك ، كي نتناول الإفطار معاً !

أقولها مبتسماً ، فلا طعام عندي .. وأصلاً بيتي بدون ثلاجة ؛ لكنني أحاول خداعه ، لعلي ألقي القبض عليه وأسلمه إلى دائرة الإفتاء ليقوموا بعمل اللازم معه !

لا أسمع رداً منه ، فأتيقن أنه شيطان جبان ..

أقوم بصنع فنجان قهوة سريع ، أحدق في السائل الأسود الجميل الساخن ، وأرتشفه ببطء ..

مشكلة القهوة أنها لا تدوم طويلاً .. بمجرد أن تبدأ بشربها فإنها تنتهي على الفور ! أحياناً أتمنى لو كان بإمكاني تزويد كل الناس بحقائب فيها أنابيب موصولة مباشرة إلى الفم .. ليتكلم المرء وقتها من أنفه فهذه ليست المشكلة ، المشكلة أن لا يشرب القهوة طوال الوقت !

يجب أن يشرب المرء القهوة طوال الوقت !

يجب !

يجب أن تكون القهوة شعاراً رسمياً لإحدى الدول ، وقتها سأرحل هناك ، وأسكن بيتاً مبنياً من طوب خاص مستخرج من القهوة .. ستكون الرائحة

العطرة حولي دوماً ..

أعدكم ؛ لن أسأمها !

أفتح التلفاز الصغير الذي عندي ، والذي أفتحه صباحاً فقط كي لا أستهلك الكثير من الكهرباء .. يباغتني وجه المذيع الذي يدعي الوقار ، وهو يقول : - أعلن النّاطق الرّسمي باسم الحكومة أنّ الغلاء إشاعة قويّة وسحر بصري يمارسه أصحاب (الدّكاكين) لخداع العامّة ، وأنّ أعداد الطّلبة الجامعيين المتشاجرين مُختلقة وغير صحيحة على الإطلاق ، وأنّ أعداد الأشخاص المنتحرين من فوق البنايات أو شنقاً في البيوت بواسطة حزام الجلد المعلّق في مروحة السقف ؛ أيضاً مكذوبة ولا أساس لها من الصحّة ، وأنّ كلّ ما نقرأه ونسمعه ونراه –حصرياً- عن بلدنا في قناة (الجزيرة) هو بُلْ شِتْ !

أضحك .. هذه عادة الناطق الرسمي باسم الحكومة ! هاهاها ! لا يتغير أبداً هذا الرجل .. أقصد ، هو يتغير دوماً ، كل أسبوع لدينا ناطق رسمي جديد ، لكنهم -جميعاً- مستوردون بالجملة من مصنع واحد !

أطفئ التلفاز الممل ، وبنفس ملابسي أخرج من البيت، ألقي تحية الصباح على القطة السوداء الحبلى التي تحب الجلوس أمام بيت الجيران .. الغريب أنها لا تردّ السلام أبداً ، رغم كل محاولاتي الكثيرة للتودد .. ربما تظن أنني من أولئك الشباب الذين يتقربون لغايات تناسلية بحتة ! إن كان الأمر هكذا فأنا أعذرها..

أخرج من الباب وأمشي في الشارع الصغير الذي يقع بيتي في آخره ، متجهاً إلى السوق ..

أمشي وأنا أحمل على ظهري الصندوق الذي فيه أدواتي، وأحاول أن أكون طيباً مع الجميع .. أنا طيب مع الكل ، في كل الأماكن أنا هكذا ..

أوزع الابتسامات يميناً ويساراً بلا تفكير ، لكن الناس يواجهون مجاملاتي لهم بتقزز .. الأوغاد ! كل هذا لأنني لم أصفف شعري هذا اليوم ؟!

أعرف أنه أكرت ، وأعرف أنني لم أشتر أي مشط في حياتي .. لكنكم لا تعرفون هذا ، ولذا اخرسوا جميعاً ! اخرسوا !

تمر بجانبي فتاة لوثت الأصباغ وجهها ، هي تظن أنها جميلة للأسف ، ولا تعرف الحمقاء أنها أكثر من جميلة .. إنها مبهرة .. أتمنى لو آكلها حية !

الجميل بالفتيات الفاجرات من هذا الطراز ؛ أنّ الواحدة منهنّ لا تتمتع بشبابها وحدها ، بل يتمتع الكلّ بشبابها معها .. هههههه !

أصل إلى وجهتي وأضع الصندوق على الأرض .. هذه المنطقة عامرة بالناس ، ولا شكّ أن منهم من يشعر بالنشوة حين يمسح أحدهم له حذائه القذر ..

اللعنة ! أنا أكره الأحذية !

يمرّ بجانبي اثنان يتحدثان في أمر ما ، لم أعرف ما هو من البداية ، لكن الأول توقف وأخرج سيجارة كي يشعلها له الثاني ، وهو يقول بغرور لم أحبه : - جاءت إليّ ورنّت جرس باب البيت .. فتحتُ لها الباب فقفزت نحو عنقي واحتضنتني وأخبرتني أنّها تحبّني .. أبعدتها عنّي ببرود ثمّ سألتها وأنا أشربُ الشّاي عن اسمِها فقالت إنّه (تمارا) .. فأخبرتها أنّ رشاقتها جميلة وأنّ حضنها دافئ وحيوي فعلاً لكنّ الاسم لا يعجبني ولذلك فإنّي أرفض الكلام معها ؛ ثمّ

إنّ هناك حباً في حياتي ربّما يأتيني بعد سبع سنوات وثمانية أشهر ، كما أنّني أكره أغنية (آه يا تمارا) جداً .. فقالت إنّه لا يهمّها أيّ شيء ولكن عليّ أن أقبل بحبّها .. فأخبرتها أنّ الاسم بصراحة هو المشكلة الكبرى إذ أنّه يذكّرني بشقيقة جارتنا الطّفلة الّتي ماتت والّتي كان اسمها (تمارا) أيضاً .. وأخبرتها أنّني لو وافقت أن أكون معها فهذا يعني أنّني سأتذكّر تلك الفقيدة دائماً .. هُنا طلبت منّي أن أحكي لها كيف ماتت تمارا الصّغيرة !

قال الثاني بعد أن أشعل السيجارة للأول :

- طيب ؟ وماذا قلت لها ؟

- أخبرتها أنّها كانت في رحلة مدرسيّة وانقلبت الحافلة ، فمات الجميع ، إلاّ (تمارا) ! ثمّ تمّ نقلها إلى المستشفى وهناك حصل حريق مفاجئ أشعل المبنى كلّه فمات الجميع .. إلاّ (تمارا) أيضاً ! وهنا نقلها الدّفاع المدني إلى بيتها مع حراسة مشدّدة ، وفي غرفتها دخلت وانكسر بها السرير ووقعت على جمجمتها لكنّها عاشت أيضاً ! فقرّروا أن يدخلوها أكبر مستشفيات (أمريكا) ، ولذلك أثناء نقلهم إيّاها في السيّارة للطائرة انفجرت الطائرة ، ولكن نجت (تمارا) بأعجوبة ، أيضاً .. و ..

هنا صرخ الثاني وقد فقد قدرته على الصبر :

- كيف ماتت (تمارا) ؟

ضحك الأول وقهقه بشدّة ، وقال :

- ردة فعلك مثل ردة فعلها تماماً .. لقد صرخت الفتاة بنفس السؤال ، وأجبتها بكل حزن إنها ماتت بسكتة قلبيّة في سيّارة الإسعاف بعد انفجار الطّائرة !

وأخذ نفساً من سيجارته ، ثم ابتعد مع الثاني بعيداً عني ..

رباه ! عليك اللعنة يا (تمارا) ! حدث كلّ هذا معك ورغم هذا أجّلت موتك حتى سيارة الإسعاف ؟

لا يهمّني .. من الجميل أنها ماتت ..

يقترب مني صاحب محل الذهب القريب :

- صباح الخير يا (مشهور) .. كيف حالك اليوم ؟!

بالمناسبة ؛ أنا (مشهور) .. هذا اسمي الذي لم أستطع يوماً أن أفهم معناه !

- بخير ، بخير ..

- هل تناولت الإفطار ؟!

- ليس بعد ..

- هل تريد أن تتناوله معنا اليوم ؟!

- مثل أمس ؟!

- مثل أمس وقبل أمس وقبل قبل أمس .. مثل العادة أقصد .. هل تريد أم لا ؟!

- أريد طبعاً ، نادوا عليّ عندما تنتهون من إعداده ..

- حسناً ..

ملابسي القذرة لا تزعجه ، ولا شعري المتناثر .. أنا بأحسن حال إذن .. أتمنى ألا يطيل علي الغياب ، فمعدتي تكاد تلتهمني !

يسألني طفل عابر :

- عمّو ! هل أنت دكتور فيزياء ؟!

أنظر له بذهول :

- كيف عرفت ؟!

- لا عليك ، اعتبرني زائراً من المستقبل .. هل أستطيع سؤالك عن شيء ؟!

- تفضل ..

- عندي لعبة (بلايستيشن) في البيت ، وعندي (إكس بوكس) أيضاً ، ولكنني أشعر بالملل الشديد رغم هذا.. سؤالي هو : كيف كان الأطفال اليونانيون يلعبون ويستمتعون بطفولتهم وحياتهم قبل ثلاثة آلاف عام ؟! كيف ؟!

أفكر قليلاً .. سؤال عويص هو فعلاً !

أجيبه بعد حين :

- لقد جعلتني أشعر بالشفقة عليهم .. لم يكن هناك شيء حقيقي ليستمتعوا به .. أغلب وقتهم كان في المدارس الفلسفيّة المتخصصة بإصدار الآراء البلهاء الّتي تثير الجنون .. أغلب وقتهم كان من حرب إلى معركة ، ومن غزو إلى هجوم ، ومن دفاع إلى هروب .. أغلب وقتهم كان بين الجواري والنّساء والخمور ودور الدّعارة الرّخيصة المسموح بها .. لم يكن عندهم للأسف (سينما اليونان الوطنيّة) أو (حدائق زيوس الكهربائيّة) أو (ملاهي كليوباترا العشتارية) وما شابه !

بعد جوابي ؛ نظر إليّ الطفل بامتنان ، وقبّلني من وجنتي، وابتعد وهو يغنّي ..

ابتعد وأنا أسأل نفسي : هل –فعلاً- أتاني طفل وسألني هذه الأسئلة ؟ أم أنّه عقلي –كالعادة- يصوّر لي أشياء لا تحدث حقاً ؟

ينادي عليّ صاحب محل الذهب :

- تعال يا (مشهور) ، بدأنا بالأكل وسبقناك ..

أنهض ، وأدخل إلى المحل .. وتبهرني كالعادة كل تلك الأساور والخواتم والسلاسل .. أجلس مع الرجل ومع ولديه ، ونشرع بالحديث والأكل ..

الرجل ، صاحب محل الذهب ، الذي تجاوز الستين من عمره ، كان يرتدي (شورت) قصيراً ، وتي شيرت عليه صورة للفنانة (بيونسيه) ، وحذاء رياضي !

بصراحة : أحببت منظره ..

لا أعرف لماذا إذا ارتدى واحد منّا مجموعة من الملابس الغريبة أو غير مألوفة ، فإنّنا نستهجن الأمر ونقول عن فاعله أسوأ الصّفات وإنّه متشبّه بالكفّار ، بينما لو أنّ أجنبياً ارتدى نفس الملابس لقلنا إنّ هذا جميل جداً وإنّ الموديل رائع والستايل ملفت فعلاً ! ولو أنّ رجلاً ستينياً مثل هذا ارتدى كما هو يرتدي الآن لقالوا عنه إنّه لا يخجل من شيبته وأنّ عليه أن يقضي الوقت في المسجد، بينما لو فعلها أجنبي في الثّمانين لامتدحوا فعله وقالوا أنّ الشّباب ليس بالعمر وأنّ هذا الشّخص الرائع يحبّ الحياة !

أشياء كثيرة هكذا لكنّ فكرتها تتلخّص بأنّنا ما زلنا رغم كلّ شيء ؛ نعاني وبقوّة عنيفة جداً من عقدة الأجنبي أبيض البشرة ملوّن العينين أشقر الشّعر !

أدسّ لقمة من الطعام في فمي ، وأنظر لهم وأخبرهم عن العصفور الذي قتلته بالأمس ، وكيف أزعجني حين دخل البيت من ثقب في الحائط .. أخبرتهم كيف فصلت رأسه عن جسده وأنا أغني (طيري طيري يا عصفورة) !

كنت أتكلم ، وكانوا يضحكون .. لم أفهم الرابط بين الأمرين أبداً .. قلت لنفسي : - ربما تذكروا نكتة ما فجأة ، هذا وارد ..

مرة سمعت أنّ أفراد العائلة قد يصابون بحالة من الضحك المفاجئ بلا سبب أحياناً .. بالنسبة لي لم أعش يوماً مع عائلة كي أتأكد من صحة هذه الفرضية ..

قال صاحب المحل مخاطباً أحد ولديه :

- كيف أصبح (سعيد) ثرياً ؟!

(سعيد) هو أحد الرجال المعروفين في السوق .. كان متسولاً يشحذ من الكل ، وفجأة صار رجل أعمال ، يشار له بالبنان .. لا أعرف ما هو البنان لكنهم يقولون هذه الجملة في هذا السياق بالذات !

فجأة دخل (سعيد) ، فقال صاحب المحل وهو ينهض:

- (جبنا سيرة القط إجا ينطّ) !

تستفزني هذه الأمثال الشعبية جداً ، جداً ..

جداً !

قالوا : (جبنا سيرة القطّ إجا ينطّ) ، لكنّ هذه إهانة لعقل المستمع ، فالكلاب تملأ المكان كلّه ، كما أنّ القادم -كرجل له احترامه- لن يأتي وهو يتقافز مثل القط ، أو مثل الكنغر الأسترالي طبعاً !

قالوا : (أعطِ الخبز لخبّازه ولو أكل نصّه) ، لكنهم لم يخبرونا عن مكان المخبز !

قالوا : (عين الحسود فيها عود) ، لكنّنا لم نعرف ما حلّ بالكمان والجيتار والبيانو !

قالوا : (إذا حضرت الملائكة ذهبت الشّياطين) ، لكنّنا لم نعرف أين تذهب بالضّبط !

قالوا : (إسأل مجرّب ولا تسأل طبيب) ؛ وهذا مؤكّد بما أن الطبيب يعمل -على الأغلب- في مستشفى حكومي !

قالوا : (الجوع كافر) ، ولكنّهم لم يقولوا شيئاً عن أي محاولات محتملة لدخوله في الإسلام !

أخذ صاحب المحل يتكلم قليلاً مع (سعيد) ، لكنني لم أهتمّ بفحوى الحديث .. شكرت الرجل على الفطور، وخرجت عند صندوقي ..

جلست أنادي :

- امسح حذاءك عندي ، حصرياً !

يقترب رجل وطفل .. الرجل غاضب ، والطفل يبكي !

يجلس الرجل على المقعد ، وأبدأ بمسح حذائه ، وأنا أنظر بطرف عيني إليه وهو يعاتب الطفل ويشتمه ..

الآباء ؛ غريبون !

من المستحيل أن تجد أباً لا يقول لابنه أو يسأله : (لماذا تأخّرت حتّى هذا الحدّ ؟) ، أو : (صاحبك فلان لا يعجبني)، أو : (أمامك وقت كبير كي تعرف المسؤولية)، أو : (ستندم على هذا الوقت الّذي تضيعه) ، أو : (اشترِ بنقودك شيئاً ينفعك) ، أو : (أين كنت طوال هذا الوقت؟) ، أو : (أنت لا يهمّك غير الرّحلات) ، أو : (متى امتحاناتك ؟) ، أو : (ألا يوجد أيّ خصومات على أقساط جامعتك ؟) أو : (ما هذه الملابس بالضّبط ؟) ، أو : (لا تتأخر وإلاّ جعلتك ترى النجوم في عزّ الظهر) !

بعد سنوات سيبدأ هذا الطفل بالنضج ، ووقتها سيسمع كلّ هذه العبارات .. كلها ..

أنتهي من حذاء الرجل ، يشكرني ويدفع لي ، ويمضي ..

تمر بجانبي فتاة .. وجهها منير ومشرق جداً ، يتفجر منه الضياء بصورة غير معهودة أبداً بالنسبة لي .. لا أستبعد أن يكون هذا بسبب (كريم) خاص مستخلص من النيونات واللمبات !

لا أستبعد ؛ فقد رأيت الكثير في حياتي ولن يكون هذا أغرب شيء أراه أو أسمع عنه ..

يمرّ بجانبي مراهقان ، يمسكان بأيدي بعضهما في حبّ مصطنع كما هو معروف ، حبّ مُقلّد يشبه ما يرونه في السينما وعلى شاشات القنوات الفضائية ..

كلّ شيء فيهما كان يقول إنّهما مراهقين ، رغم بذلهما بعض الجهود لإخفاء هذا !

هناك بثور خفيفة في الوجه و (حبّ شباب) مبدئي .. هناك الكثير من مثبت الشعر (الجل) على رأسه وملابسه متحدّية لمن حوله دون سبب منطقي .. موبايله في يده وسعيد بترداد الشّتائم التي يحفظها كببّغاء .. لا بدّ أنه يقضي أغلب وقته على النتّ وماهر جداً في لعبة Call Of Duty ويشجع ريال مدريد أو برشلونة حتماً .. لا بدّ أنه يحلم بامتلاك سيارة BMW ويذهب كثيراً إلى المولات أو حدائق الحسين .. لا بدّ أنه يقدّس أصدقاءه خصوصاً الّذين

يطيعونه في كلّ شيء كما أنّه دوماً يحاول إثبات قوّة رجولته وفحولته أمامهم .. لا بدّ أنه لا ينسى في أيّ جلسة أن يتكلّم عن آخر فيلم sex شاهده ومارس عليه العادة السريّة !

أما الفتاة التي بجانبه ؛ فلا بدّ أنّها تشعر بحبّ شديد وعارم للدّباديب الملونة والعطور والشّموع والسيّارات الحمراء والموسيقى الكلاسيكيّة الهادئة .. لا بدّ أنّ موبايلها مليء بالملصقات التي من ضمنها (لولو كاتي) وعلى الأغلب لديها لابتوبها الخاص .. لا بدّ أنها تعرف كلّ شيء عن الجنس ولكنّها لا تتكلّم عنه إلاّ مع أعزّ صديقاتها وبكلّ خجل .. لا بدّ أنّ طموحاتها تتلخّص بالتسوّق وبشراء جميع أنواع وألوان وماركات الميكاب وكحلة العين وأحمر الشفاه ودهانات الأظافر .. يقول البعض أنّ هذه الفترة تمتدّ عند الفتيات حتّى آخر العمر !!!

بغتة .. رنّ هاتفي المحمول ..

و ..

*****

-٢- رجل ..

كان هذا هو (مفتاح) !

ربما لا تعرفون أن (مفتاح) صديقي اللدود ، أحبه ، يحبني .. وعلاقتنا باختصار : كراهية متبادلة منذ زمن بعيد !

(مفتاح) الأسمر الذي هاجر من (السودان) بحثاً عن لقمته ، ليجدها أخيراً في بلاد الأسكيمو ، مع زوجة !

(مفتاح) حار الدماء ، يتزوج (ناتاشا) باردة الدماء .. لا أستطيع أن أتخيل الطفل أو درجة حرارته في هذه الحالة..

ما وحدة القياس التي يستخدمونها ليعرفوا أن فلاناً (لسانه طويل) ؟!

أحتاجها مع (مفتاح) ، هذا الوغد الحبيب ..

نتكلم قليلاً ، ويخبرني أنه سيأتي –مع زوجته- ليمكثا معي فترة قصيرة ، أحاول التهرب منه ولكنه يخبرني أنه لا يمانع أي شيء قد أعترض عليه مسبقاً .. أخبره أن البيت غرفة واحدة ، وأن الحمام سيكون مشتركاً بين الجميع ، وأننا سننام -أنا وهو وزوجته- بنفس المكان الضئيل ، لكنه لا يمانع ..

حمار !

حسناً ؛ ليس عندي مشكلة ..

أنهي الاتصال معه ، لكنني أتذكر أنني لم أخبره شيئاً عن الطعام أو الشراب أو الماء والكهرباء ، أهم بالاتصال به لكن صوت تلك المتسولة التي تقول : (يرجى إعادة تعبئة رصيدك) أغضبني .. ليس مهمًّا ، سأتكلّم مع من أريد أن أتكلّم معهم عن طريق الواتساب أو الفايبر -مجاناً- ! ما أجمل التطوّر الذي نعيشه ! وما أروع حزم الإنترنت الشهرية !

ترى ؛ كيف يبدو شكل هذه المتسوّلة التي لا تسأم؟ أم أنّ هذا شريط مسجّل ؟ على الأغلب هو شريط مسجّل.. أليس كذلك ؟

أضع هاتفي في جيبي وأنصرف من جديد لصندوقي .. يقترب مجموعة من السياح الأجانب مني ، ينظرون لي ويلتقطون معي بعض الصور .. أبتسم ، لا شكّ أنهم يرون فيّ شيئاً مميزاً ..

أحدهم يقترب مني ، ملامحه آسيوية ، ربما هو تايلاندي أو ماليزي أو أندونيسي أو ياباني أو كوري أو صيني .. نعم ، صيني على الأرجح .. هو صيني .. نعم ، أنا متأكد .. أنا واثق من أنه صيني ، لا يمكن أن يكون إلاّ صينياً !

أشعر أحياناً أنّ كلّ صيني هو خبير في الكونغ فو ، وأنّ لديه تنيناً أخضر اللون ينفث النّيران ويسكن تحت الفراش ، وأنّه كان متورّطاً مع عصابة (نينجا) في شبابه ، وأنّ عنده سيفاً خلف إحدى السّتائر ، وأنّه يستمع دائماً إلى تلك الموسيقى المثيرة للأعصاب بهدوئها ، وأنّه لا يكفّ عن تدريب نفسه وتدريب الأطفال على القتال ، وأنه لا يتناول الطّعام إلا بتلك العصي الخشبيّة المعقّدة !

أحترم (الصين) ، وأتمنى لو كنت صينياً ..

يذهب السياح ، وأرسل -من هاتفي- رسالة إلى (كارول) ؛ لا شكّ انها اشتاقت لي ..

أشعر أنها تحتلني ، في كل يوم ، أكثر وأكثر !

أشعر أنها تحتلني إلى درجة طردي من جسدي ، واستيلائها عليه بالكامل ، مما يجعلني سيداً للفراغ حينها، ويجعلها سيدة الأجساد ؛ جسدها وجسدي !

أشعر أنني بعدها إن اختلفت معها لن أستطيع أن أطالب بجسدي من جديد ، فقد صار -بمرور الزمن- حقاً مشروعاً لها ..

يذكرني هذا بشيء ما ؛ لا أدري ما هو ..

الشمس كريهة ، تصفعني بسياط حرارتها كلّ برهة ، وكأنها تنتقم مني أنا بالذات ، لا أدري لماذا ..

أرفع رأسي ، أشتمها !

يقترب مني رجل يرتدي ملابس سوداء ، ونظارة سوداء ، وقبعة سوداء .. يبدو شبيهاً بعملاء المخابرات السريين ، بل أقرب للصديق الحبيب (والتر وايت) وهو في شخصية (هايزنبيرج) في مسلسل (بريكينج باد) !

يقول لي :

- امسح حذائي ..

- على رأسي ..

أقولها وأضحك ، لطالما كانت هذه المفارقة تضحكني وما زالت، رغم أنها مهينة -أولاً وأخيراً- لي شخصياً ..

فجأة تثاءب بطريقة فظيعة ذكّرتني بأفراس النّهر ، بل بصور الزّنوج المنقوشة في الأهرامات الّتي بناها الأنباط الإغريقيّون .. إلى حدّ أنّني كدت أن أرى أمعاء قدميه !

يقول لي :

- هل تعرف من أنا ؟!

أرفع رأسي وأسأله :

- كلا .. من أنت ؟!

يكاد رأسه يرتطم ببعض الغيوم وهو يرفعه عالياً ليقول في شموخ ووقار : - أنا الكاتب والشاعر والأديب والصحفي والقاص والروائي والناقد والمعارض (تيسير ناظم) ..

- والمطلوب ؟!

يمد لي مجموعة من الأوراق ، ويقول لي : - اقرأ ..

- أبدأ بالمسح أم بالقراءة ؟!

- امسح ثم أقرأ ..

- حسناً ..

أنتهي من مسح حذائه النظيف من الأساس ، وأبدأ بتصفح بعض الأوراق التي أعطاني إياها ..

أشعر بالاستغراب الشديد !

أليس عنده ذوق وعقل كافيين ليعرف أنّ ما كتبه لا يخرج أبداً من قائمة التّفاهة والهراء والغباء ؟!

بعيداً عن جوّ النصّ السّاذج ، والتّعبيرات البسيطة التقليديّة ، والتّشبيهات الرّوتينيّة المعتادة ؛ هناك كميّة لا بأس بها من الأخطاء اللّغويّة والإملائيّة ، وعلامات التّرقيم المحذوفة ؛ وكأنّه لم يسمع بها أبداً !

حقاً ؛ القرد في عين (نفسه) غزال !

أعيد له الأوراق :

- أنت رائع ، مبدع كبير .. يجب أن تأخذ جائزة (أوبل) في الآداب ..

يقول لي مصحّحاً :

- إحم ، (نوبل) ..

- إحم ، بغضّ النظر ؛ أنت مرعب !

ينتشي ويبتسم بزهو ، ينقدني مبلغاً لطيفاً ويذهب ..

*****

مرت عدة ساعات ، تشاجرت فيها مع سكير جاء خصيصاً كي يشتم والدتي على مرأى من جميع الناس ، ومازحت شرطياً صارماً فقط لأنني أخاف من شكل شاربيه! أكره رجال الشرطة ولهذا أمزح معهم ! وطبعاً : تحرشت بفتاة جامعية ضخمة الصدر ، ذكرتني بفتوى إرضاع الكبير ، التي قالها أحد الشيوخ الغائبين عن الوعي ذات يوم !

بالمناسبة ، حين أصدر تلك الفتوى الغريبة ، كنت أريد أن أسأل سماحته : هل الرّضاعة من ثدي واحد أم من الاثنين ؟ وهل يجوز أن يرضع ثلاثة رجال من نفس الثّدي بنفس الوقت ؛ إذا كان الصّدر ضخماً ومن الطراز الهيفاوي ؟ هل يجوز خلطه مع (نيدو) أو (كارنيشن) أو (لونا) من باب وضع طعم اعتدنا عليه ؟

المشكلة أن كل هذا –المشاجرة والمزاح والتحرش- حدث وأنا أفكر بحضور (مفتاح) و (ناتاشا) غداً ، لن أحضرهما من المطار طبعاً فأنا لم أذهب إليه في حياتي ، ولست أملك أجرة الطريق ذهاباً وإياباً إلى هناك ، كما أنني أهاب تلك الطيور المعدنية العملاقة ..

أهابها !

أهزّ رأسي يميناً ويساراً بقوّة ، أحاول طرد أي أفكار .. أحمل الصندوق وأعود إلى البيت ..

قرب الباب رمقتني القطة بنظرة عابرة وأدارت رأسها نحو اتجاه آخر .. الوقحة ! سأقتلها ذات يوم ..

أدخل ، وأضع الصندوق ، وأنام ..

***

استيقظت بغتة على صوت طرقات عنيفة على الباب..

قمت كالمجنون ، وهتفت من وراء الباب : - من ؟!

- أنا !

كان هذا أغبى جواب في العالم ..

- من أنا ؟!

كان هذا أغبى سؤال في العالم ..

قال :

- افتح الباب ، أنا (مرزوق) ، جارك ..

(مرزوق) الضخم ، ذو الكرش المتدلي ، والرقبة العريضة التي تصلح لأن تكون مهبط طائرات ..

بصقت في وجهه على سبيل المزاح ، ولكزته عدة مرات من جانبيه وهو يحاول ألا يضحك ، قبل أن يقول مقدماً لي بطاقة بيضاء أنيقة : - تفضل ..

أنظر باستغراب :

- ما هذه ؟!

- دعوة لحفل زفافي ..

- ماذا ؟!

يكرر :

- دعوة لحفل زفافي ..

- احلف !

- والله العظيم !

أكرر :

- احلف من جديد !

يقسم محتجاً :

- أقسم بالله العظيم يا (مشهور) .. هل سأكذب عليك بهذا الشأن ؟!

أقول بصراحة فجة لا بدّ منها : - المشكلة أنك تكذب كثيراً ، والمشكلة الأكبر أن الناس حين يعتادون من أحدهم نوعاً معيناً من الكذب ؛ يصبح تصديقه أمراً مستحيلاً !

- لا ، ليس هذه المرة .. حفلة زفافي بعد يومين ، وهي في صالة (الموت) القريبة منا ..

أستغرب وأسأل :

- صالة أفراح اسمها (الموت) ؟!

- نعم ..

- غريب هذا !

يسألني ببساطة وكأنه لا غرابة في الأمر : - أين الغريب ؟!

- لا ، لا غرابة على الإطلاق ..

يبتسم ويقول :

- بانتظارك ..

- (مرزوق) .. هل أستطيع أن أطلب شيئاً منك ؟!

- تفضل ..

أقول بحرج :

- هل أستطيع أن أحضر (مفتاح) و (ناتاشا) معي ؟!

يعقد حاجبيه ويسأل :

- من هذان ؟!

- صديقان لي ، سيأتيان غداً من الأسكيمو ..

الدهشة تفوح من وجهه :

- الأسكيمو ؟!

- نعم ..

يلوح بيده :

- حسناً ، أحضرهما ..

- أشكرك ..

يفكر لوهلة ثم يقول وعيناه تبرقان : - هل أستطيع أن أطلب منك شيئاً بالمقابل يا (مشهور)؟!

- طبعاً ..

يقول بنذالة :

- حاول أن تستحمّ !

أبتلع الإهانة وأقول ببرود :

- سأحاول ..

يخرج ، أغلق الباب ورائه في عنف .. لا شكّ أنه ندم على دعوته لي ، لكنّني سأذهب طبعاً .. لا بدّ ..

أفتح البطاقة وأقرأها ، تستفزني كالعادة كلمة (كريمته) الموضوعة بدلاً من اسم العروس !

عندما كنتُ صغيراً كنت أعتقد أنّ أشهر اسم أنثوي في العالم هو (كريمته) ؛ لأنّها كانت أكثر كلمة مكرّرة في بطاقات الزفاف !

-٣- أكره ..

لا شكّ أنني نمت كثيراً ، هذا مزعج ..

إلى حدّ ما ؛ أعتبر النوم طائراً خفيف الظل ، منقاره أسود ، لطيفاً ورقيقاً إلى حدّ التوحّش أحياناً ، وغامضاً ..

هو مريح أيضاً ! لن أنكر هذا ..

أدندن بأغنية قديمة من كلماتي وألحاني ، وأحاول أثناء الطرب الأصيل الذي أقوم به أن أرتب الغرفة والفوضى..

أحبّ الفوضى المهذبة ؛ أشبه الدول العربية بهذا المصطلح !

الدول العربيّة كائنات فضائية ؛ يذكّرني وجودها السّياسي ببعض الأشخاص في (الكورال) ؛ الذين يكونون عادة خلف أحد المطربين .. لا بدّ أن يكون بعضهم من ذوي الأصوات الناشزة الحمقاء ، ولا بدّ أن يكون هناك من لا يفعل شيئاً سوى تحريك شفاهه فقط .. والمطرب يعرف هذا طبعاً ؛ لكنّه يبقي على هذا النّوع من (الكورياين) فقط من أجل المحافظة على الشّكل العام !

السؤال القوي : من هو المقصود بـ (المطرب) ؟!

أخرج من تساؤلي على منظر الثياب التي لا أدري أين سأضعها الآن .. أعرف أن الخزانة فارغة ، ولكن من الجميل أن تكون الخزانة فارغة أحياناً ، هذا يجعل الغرفة تبدو أكبر حجماً ..

يجب أن أشتري المزيد من الملابس ، المستعملة طبعاً.. لست بقادر على شراء ثياب جديدة لم يلبسها أحد قبلي لأنني أشعر بالاشمئزاز .. كيف لجسدي أن يرتدي أشياء لم تكن على آخرين من قبله ؟!

لا طعم للثياب إن لم تكن مرّت برحلة كونية بين الأجساد !

بالمناسبة ؛ يراودني سؤال بخصوص سوق الملابس المستعملة : إذا كانت هذه الملابس لأشخاص قبلنا وباعوها لتجّار يريدون أن يبيعوها لنا ؛ فلا بدّ أنّهم باعوا ملابسهم لأنّهم كانوا بأمسّ الحاجة للمال ..

هل هم الآن عراة ؟!

هل باعوا ملابسهم ليشتروا بدلاً منها ؟!

لا أعرف .. المهم -بالنسبة لي- أنني لا أبيع ثيابي المستعملة كي أشتري بالثمن ثياباً مستعملة لي مرّة أخرى ؛ ستكون هذه أغبى عملية مقايضة على الإطلاق !

فجأة ؛ تذكرت الرجل الكوكتيل المتشح بالسواد ؛ والذي قابلته اليوم .. ذاك الذي يكتب كل شيء والذي صعقني بأدبه الشبيه بالمراحيض .. كان بودي أن أصفعه ، حقاً ، وأن أجره على الأرض كالكلاب ، وأن أقول له بكلّ حنان : - إذا أردت طبع ونشر كتاب لك في السوق فلا تقدّم أقلّ من الرائع لفم المطبعة النّهم .. المطابع عبارة عن شرطة فاسدة فلا تبخل عليها برشوة مميّزة !

للأسف ؛ لست أملك آلة زمن ..

أفكر بكل هذا وقد انتهيت من توضيب الغرفة ، جيد.. سيسعد (مفتاح) و(ناتاشا) ؛ لكنني أرجو ألا تجعلهما سعادتهما يفعلان شيئاً من تلك الأشياء (العيب) في غرفتي بوجودي .. فليفعلا أي شيء بغيابي ؛ هكذا سأكون مرتاحاً أكثر ..

بنفس ملابسي أخرج ، القطة السوداء غادرت ، ربما ذهبت مع أحدهم .. لا أدري ، المشكلة أن شهر (شباط) ما زال بعيداً نوعاً ما ..

لا يهمّ ..

أمشي في الشارع ، وأنا أفكر : حياتي تعيسة جداً !

ما هذا الجحيم الذي أعيشه بالضبط ؟!

مرّة جلست مع شبه شاعر ، طويل الشعر واللحية ، يرتدي قبعة فرنسية ويكفر بالله دوماً .. كما أنه يحتسي الخمر كلّ مساء ، ويعاشر النساء في بيت صديق مغترب له .. قال لي في ارتخاء -وهو يحاول أن يعطي كلماته شيئاً من الثقل- : - الجحيم هو الآخرون !

أظنها مقولة لشخص مجنون اسمه (سارتر) كما سمعت.. هو مجنون فعلاً فهي بعيدة جداً عن الحقيقة.. الجحيم هو أنا ! الجحيم هو حياتي أنا !

لا أدري كيف أستطيع الاحتمال حتى هذا الحدّ .. أشعر أنني سمكة مشاغبة اعتادت الضرب على مؤخرتها الملساء من قبل والدتها الصارمة كلّ صباح من باب التأديب .. غريب ! هل هناك أسماك غير صارمة أصلاً ؟!

لا أعرف ، ربما ..

حياتي جحيم !

هذا ما أعرفه بحقّ .. هذا هو .. وأعرف أيضاً أنني يجب أن أجد حلاً !

أنا أبحث عن الحلول دوماً ، أسأل كل الناس عن حلول ، بطرق ملتوية .. أحاول أن أتعلم من الآخرين ، أن أتجسس على مكنونات صورهم الفارغة .. أحاول أن أسرق شيئاً من خيالهم ، من صور تسكن عيونهم ؛ دون جدوى ..

لا جدوى من أي شيء أفعله !

حياتي جحيم ، وضياع !

ينطلق فجأة من فمي صفير طويل يدلّ على الإعجاب..

فمي متسرّع للأسف ! هذا متوقع منه عندما تمر فتاة بهذا الجمال أمامه ! إنها فاتنة حقاً ، لا شكّ أنها تستحم تسع مرات في اليوم ، لا شكّ أنها تقلّم أظافرها وتتخلص من شعر جسدها بواسطة معقود السكّر كلّ أربع ساعات.. لا شكّ بأنها تؤدّي أمور حياتها الأنثوية بدقّة وأناقة .. إنّها فاتنة وهذا حقّ عام عليها أن تصونه بكلّ ما أوتيت من قوّة !

هذا ما أعرفه –أنا وفمي- عن الفاتنات .. يسعدني أنني أحياناً أتفق معه ..

بالمناسبة ؛ لفمي شخصيته المستقلة التي توترني أحياناً، وخصوصاً حين يبدأ بشتمي !

(فمي يشتمني) ؛ لا أدري كيف كتبت هذه العبارة ، لكنّ هذا ما حصل .. أقول الحقيقة ..

حياتي جحيم ، وضياع ، وبؤس !

مثلاً ؛ أمشي منذ نصف ساعة في الشارع بلا هدف ، لم أفعل شيئاً مفيداً واحداً ، ولم أفعل شيئاً غير مفيد واحداً أيضاً ..

حياد تامّ !

أستمرّ بالمشي ، وأنا أشتم الحكومة ..

دائماً ما يكون الحقّ على الحكومة ؛ ليس في هذا أي نوع من التجنّي أو الظلم .. سواءً هم أو المخابرات ، أنا وكل المتعوسين نلقي باللوم عليهم ، هذا يريحنا !

يا رجل ! إنهم يعرفون كلّ شيء !

من أسرار النفط ، إلى الخدع الإسرائيلية ، إلى التغييرات النيابية، إلى الانقلابات العسكريّة ، إلى اغتيال عرفات، إلى خفايا المجالس البلديّة ، إلى فضائح الوزراء ، إلى أسرار الأطباق الطائرة ، إلى مشاكل الضفة الغربية ، إلى الأسباب الحقيقية لارتفاع الأسعار والسكّري والضّغط ، إلى أفكار الصفقات المسلّحة ، إلى عجائب البورصة ، إلى ما لم ينشر لدرويش والقاسم ومطر وقبّاني ، إلى الأقمار الصناعية الخاصة بالمكتب البيضاوي ، إلى الطابور الخامس ، إلى الحفلات الخيرية ، إلى نشرات الأخبار ، إلى مقاهي الثقافة ، إلى محلات بيع الخضار والفواكه ، إلى جيوشنا المتلفزة ، إلى أغانينا الوطنية

، إلى طربنا الشرقي ، إلى غرف نومنا ، إلى ملاعقنا وصحوننا ووروودنا وشوارعنا ، إلى أوراقنا وسياراتنا ومياهنا ، إلى ملابسنا وثيابنا الداخلية التي نرتديها أو المخبأة بقعر الخزانة !

الحكومة ؛ هي رأس الأفعى ، وسبب الكوارث ..

على فكرة : بمجرّد أن نلغي الحكومات والوزراء والنواب والبلديّات ، ونستبدلهم بطاقم جديد ليس له علاقة بالوراثة والواسطات ، ونوقف المواطنين عن ضرب الأساتذة والأطبّاء المهملين بأعمالهم ، ونأمر الشرطة بوقف اعتقال الصحفيين والروائيين وإطلاق النار على بعضهم ، ونصلح الحال الاجتماعية فلا أخ يقتله أخوه ، ولا أمّ تتخلّى عن بناتها ، ولا شاب يذبح صديقه ، ولا حوادث سير تكلف الكثير من الأرواح والممتلكات ؛ سيكون بإمكاننا بكلّ سهولة أن نصنع من بلدنا الدّولة المثالية الّتي يحلم بها (أفلاطون) ..

ستكون لدينا (يوتوبيا) الخاصة بنا !

لو ..

لو استطعنا فعل كلّ هذا !

هههههههههههههههه ! أضحك بيني وبين نفسي هذه الضحكة الفيسبوكية ، وأعود لخواطري المرّة كفنجان قهوة كثير السكّر في عزاء ..

حياتي مرهقة ..

يجب أن أجد حلاً ، يجب أن أسأل أكثر ، يجب أن أنتشل نفسي من هذه الحياة المقيتة البغيضة كأمواج بحر .. بالمناسبة ؛ أنا أكره أمواج البحر ، أشعر أنها حيلة رخيصة لجذب الناس إلى الأعماق .. نعم ؛ الماء ليس أكثر من مومس في نظري !

حياتي سيئة ؛ وكان من الممكن أن تكون أفضل لو كان فيها امرأة .. أعتقد ..

المشكلة هي : ما الذي ستضيفه امرأة إلى حياتي ؟!

مجاملات لا تنتهي من قبلي لأهلها ، مجاملات لا تنتهي من قبلها لأهلي ، جماع كل عدّة أيام يتلوه اغتسال سريع كي تزول الرائحة الناتجة عن امتزاج الأنوثة بالرجولة ، فترة شهرية يمنع فيها الاقتراب أو التصوير كالمناطق العسكرية ، مسؤولية هائلة أحملها على ظهري فوق -أو تحت- صندوق الشغل مباشرة !

جيد أنني لم أتزوج ، لست بحاجة إلى كلّ هذا ؛ كما أنني وقتها سأفقد لقبي ، ولن أكون ملك البيت ..

يكفيني زواجي بتاء التأنيث ، وببعض أمهات الكتب ، وبأخوات (كان) جميعاً .. أنا أحب القراءة إن لم أكن قد أخبرتكم هذا بعد .. طبعاً لم أقرأ سوى عدة كتب لم تتجاوز أصابع اليدين ولكنني استمتعت جداً .. القراءة عندي للاستمتاع فحسب ، وأقوم بها كلّ عامين مرّة ..

تحملني قدماي حتى المقهى .. أحب المقاهي بشكل عام ، تعجبني رائحة الأرجيلة والشيشة ، ومنظر أكواب الشاي والقهوة والنيسكافيه ، وشاشة

التلفزيون الكبيرة الموضوعة على الحائط ..

يقترب مني (عفيفي) ويلكزني في كتفي :

- كنت فين يا (مشهور) من زمان ؟! وحشتنا يا راجل ! عامل إيه يا مان ؟!

(عفيفي) المصري خفيف الدم ، يقول عني : (مان) !

الأفلام الأجنبية غيرت عقول الكثيرين فعلاً ..

الكثيرين ..

أضحك وأجامله قليلاً ، وأطلب فنجان قهوة ..

بجانبي رجلان يتحاوران في السياسة بصوت منخفض .. يا إله السماوات السبع ! كأنّ هذا ما كان ينقصني ..

السياسة لعبة خاصة بالكبار فاتركوها يا رواد المقاهي.. هي ليست لكم ، والله ليست لكم ، أقسم بالله أنها ليست لكم !

للسياسة -عندنا- رهبة الأصنام في الجاهليّة .. حاول أن تكلّم أيّ سياسي ؛ سيغمض عينيه بخشوع ويقول لك متمتماً : - فلتبق خارج اللعبة لأنك لن تفهم شيئاً من كواليسنا!

حاول أن تتكلّم مع زميلك عن السّياسة ؛ سينظر حوله في خوف ، ويغلق هواتفه ، ويبتعد بك إلى منطقة خالية من السكّان ، ويقول لك بعنف : -

حبيبي .. عندي عائلة وأولاد وعمل استطعت الوصول إليه بفيتامين (واو) بعد سنين .. فاسكت وارحمنا بالله عليك !

أستمع إليهما وهما يتكلمان ، ينتبهان لي ، لا شكّ أن هيأتي أخافتهما ، فقد نظرا في عيون بعضهما برعب ، ونهضا ، وخرجا من المقهى فوراً دون أي كلمة ..

أضع رسالة جديدة على حائط (كارول) ، هذه المرة وضعت صورة مضحكة .. لا شكّ أنها تضحك مثلي ، ومن المؤكد أن لها فم وأسنان .. بدون فم وأسنان لن تستطيع أن تضحك !

ستضحك بالتأكيد ، الصورة كوميدية للغاية ..

لماذا لم أسمع صوتها ولم أر شكلها حتى الآن ؟!

(كارول) ؛ يجب أن أكتشف سرك ذات يوم ، يجب أن أن أسمع صوتك وأراكِ .. يجب ..

بالمناسبة ، أعتقد أن (كارول) تشبه (كاميرون دياز) ، الممثلة الجميلة في فيلم (ملائكة تشارلي) وغيره .. أشعر في أعماقي أنها تشبهها كثيراً !

أطلب أرجيلة من (عفيفي) المبتسم بلا توقف ، وأفكر: غداً هو يوم الجمعة ، رباه كم هذا جميل !

غداً سيأتي (مفتاح) و (ناتاشا) ، وسيبدأ فصل جديد في حياتي المملة ، أرجو أن يكون ممتعاً ومختلفاً ..

أرجو ..

أحب يوم الجمعة جداً .. وأحبّ الخميس أيضاً لأن اليوم التالي له هو جمعة .. وأحبّ السّبت لأنّ اليوم السّابق له هو جمعة ..

أحياناً أحلم لو كانت كلّ أيّام الأسبوع جُمَعْ ! وأن نمارس معها نظام الأرقام ، فتكون الأيّام : (جمعة ١) و(جمعة ٢) إلى (جمعة ٧) ، وهكذا !

يحضر (عفيفي) الأرجيلة لي وأبدأ باحتسائها .. الأرجيلة بيانو من نوع خاص ، يعزف عليه الفم والأنف فقط.. بالنسبة لي فأنا أشعر -والدخان السام الضارّ المؤذي يحرقني من الداخل- بمتعة كونية لا حدود لها ، ولا مدى لظلالها ..

يأتي شاب بعد برهة ومعه فتاة ، يجلسان .. يظهر لي بوضوح أن خطبتهما كانت قبل أسابيع قليلة ، لا شكّ في هذا ..

ينظر لها وتنظر له ، يضحكان ، يمسك يدها ويضغط عليها .. المشكلة أنها أرخت يدها تماماً ..

إذا ما خطبت فتاة سأشترط عليها ألا ترخي يدها في يدي .. هذا يعطيني إحساساً بأن هناك سمكة ميتة بين أصابعي !

بعين الوهم أرى نفسي أخطب هذه الفتاة ، أذهب مع أهلي ونطلب يدها ، وتوافق هي بخجل من دون أن تتكلم ، ويشرب الحضور (نسكافيه) بدلاً من القهوة ..

بالمناسبة ؛ لماذا نقول لأهل العروس : إنّنا نطلُب (يد) ابنتكم يا جماعة ؟!

ما المميّز في يدها على أيّ حال ؟!

ماذا لو كانت أصابعها مثل أصابع (الكفتة) وكان العريس يحتاج إلى سوار ليضعه في بنصرها بدلاً من الخاتم ؟!

ماذا لو كانت هذه اليد صاروخ (أرض أرض) مثلاً ؛ وتكفي صفعة يتيمة منها لإلقاء الزوج في مصحة نفسية -مشتركة مع قسم الكسور- لثلاثة أشهر كاملة ؟!

ما هذا التمييز العنصري الذي لا تحظى به السّاق أو الرّجل أو الأنف مثلاً ؟!

أبتسم ، أتخيل أبي الهادئ يقول في رصانة أمام الناس :

- نريد أن نطلب رجل ابنتكم !

أضحك ، وأعلو بضحكاتي إلى حد أنني أثرت اهتمام بعض الذين من حولي في المقهى .. عادي ، فليقولوا ما يريدون ، أنا هكذا وأتصرّف بحريتي دون التقيد بأي قوانين مجتمعية سمجة تحدّ من عفويتي .. اللعنة ! يحاسبون المرء على كلّ شيء ، ويرفضون أن يحاسبهم أحد على سنتيمتر واحد من أخطائهم !

أطلب فنجان قهوة جديد ، يأتيني به (عفيفي) بسرعة ، أشربه على عجل وأخرج من المقهى ..

أدور ساعة أخرى في المكان بدون هدف ، قبل أن ينقضّ علي ثلاثة رجال فجأة ..

أنظر لهم في رعب ، ما الذي يريدونه مني ؟!

يقترب أولهم ، وقبل أن يدري أباغته بلكمة شديدة القوة على منتصف أنفه ، قبل أن أدور بسرعة رهيبة حوله وأطير ثلاثة أمتار في الهواء فارداً ساقي ، موجّهاً ركلة عنيفة إلى بطن الثاني ، أما الثالث الذي باغتته الضربات فلم يستطع أن يهرب لأنني أمسكته من الخلف وهو يصرخ ، وبحركة ماهرة شديدة المرونة ضربته على مؤخرة عنقه ، ليسقط على الأرض فاقداً وعيه ..

ما أجمل شعور القوة !

لا شكّ أن (جيمس بوند) سعيد جداً في حياته ..

أنظر إليهم وأبصق ، أبتعد عنهم وأنا أطلق صفيراً من فمي ، أرى فتاة فجأة في الزقاق ، تهرب من أسد يلاحقها !

أسد ، هنا ؟!

هذا ليس وقت الأسئلة ..

إنه وقت التحرك يا (باتمان) !

أركض نحو الفتاة بسرعة ، أسبق الأسد ، أميل عليها ونحن راكضين وأحملها مقبلاً إياها من شفتيها بطريقة سينمائية أمريكية بقوّة ، قبل أن ألقيها جانباً وأميل لمواجهة الأسد ، الذي بدا غاضباً كطفل حرمته من اللعب بلعبة GTA فجأة ..

يندهش الأسد ، أهاجمه فيهرب ، تصرخ الفتاة ، يركض الأسد بعيداً ، أمسكه من ذيله وأطوح به نحو الجدار ، ينفجر جسده ويتحول إلى أشلاء دمويّة ..

أهمّ بـ ..

أنتبه -بغتة- أنني لست (باتمان) ، ولا (جيمس بوند) ، وأنّه لم يهاجمني أحد ، وأنني ما زلت في المقهى ..

أمامي (عفيفي) وورقة الحساب !

أتنهد ، كان هذا حلماً إذن .. يا للروعة لو كان واقعاً ! كنت سأسرد القصة غداً على مسامع (مفتاح) و (ناتاشا) ..

أدفع له ، وأتوجه للخارج ..

أمشي في الشارع ، تستوقفني بعض اليافطات الإعلانية الضخمة الكاذبة كالمعتاد .. أولئك الناخبون الأوغاد ! لا يعرفون شيئاً في الحياة سوى الجوازات الحمراء الأبدية، والمرتبات الشهرية التي تكفي لإلغاء الفقر من العالم، والجلوس أمام المذيعات اللطيفات في استوديوهات القنوات الفضائية المشبوهة !

أولئك الناخبون الأوغاد ؛ يسيطرون على حياتنا وكأنهم السادة في مسرح الدمى .. أتمنى لو أبول عليهم واحداً واحداً !

اليافطات الإعلانية كثيرة من حولي ، وتقول للجميع بكل صراحة إننا في موسم انتخابات ..

طبعاً ؛ تستطيع أن تعرف أنّنا في انتخابات ؛ إذا حجبت الشّمس لكثرة اليافطات هذه ، أو إذا رأيت الكثير من شجارات العشائر بين بعضها ، أو إذا أتاك شقيقك وأخبرك أنّه وجد خمسين ديناراً بالصدفة ، أو إذا وجدت عائلتك قد انقسمت نصفين !

لن أنتخب أحداً بالنسبة لي ، هذا معروف .. فأنا أكره أن أشارك معهم في تمثيل المسرحية !

أشتمهم ، وأكمل سيري .. أقترب من بقالة صغيرة فيها رجل مسنّ جداً ، ربما كان في سفينة (نوح) وهو لا يدري..

أقترب منه :

- مساء الخير يا حاج ..

يبتسم مرحباً، غير عارف بما في جعبتي له :

- أهلاً أهلاً ..

- هل عندك بيض مشوي ؟!

- لا ..

- هل عندك شاي بلدي ؟!

- لا ..

- هل عندك سكر مالح ؟!

- لا ..

- هل عندك هواء على شكل مكعّبات اقتصادية ؟!

- لا ..

قال (لا) الأخيرة هذه وقدأ بدأ جسده يتشنج .. لكنني لم أرحمه بل أكملت : - هل تستطيع أن تدلّني كيف أنام دون أن أغمض عيوني؟!

- لا ..

- هل تستطيع أن تعلّمني كيف أسبح دون أن يمسّني الماء ؟!

- لا ..

- هل تستطيع أن تريني كيف أشرب دون أن أفتح فمي ؟!

لم يجبني ، بل توجه مباشرة إلى الداخل ، وأخرج بندقية عتيقة علاها الصدأ وشباك العناكب ، ووجهها مباشرة إلى وجهي وأنا أنظر مبتسماً ، وأطلق النار ..

من حسن الحظ أنني ابتعدت ، وإلاّ ما كنتُ أكتب هذه السطور الآن .. نعم ، ما زلت حياً ، ولستُ شبحاً ..

الأشباح تجهل كيف تكتب مذكرتها إن لم تكن تعرف هذا ، كما أنها لا تستطيع أن تمسك بالقلم -أصلاً- ، أعتقد أنّ هذا واضح ، للغاية ..

أصرخ فزعاً ، وأفرّ ..

يا له من رجل مجنون !

لو أننا في (أمريكا) لما حصل هذا .. ربما بادر هو وسألني بعض الأسئلة الخاصة به كذلك ..

أحترم (أمريكا) ، وأتمنى لو كنتُ أمريكياً !

أمشي ، وتمر بعد قليل بجانبي حافلة مدرسة لنقل الأطفال ، فارغة طبعاً ..

الغريب أنّ حافلات المدارس هذه تتميز بلونها البرتقالي، وكذلك سيارات نقل القمامة والمياه العادمة ..

هل هناك مغزى ما من وراء عبث الألوان هذا ؛ أم أنّها مجرّد صدفة ؟!

لا أدري ..

لا أهتمّ أصلاً ، فالمدرسة كيان أتذكره بصورة مشوشة ، قاتمة جداً ، ربما لأن مساعد مدير المدرسة كان يعاقبني كلّ يوم ..

أتوجه إلى البيت ، وأتجاهل وجود القطة من عدمه .. لم أنظر في الأساس إلى باب الجيران لأرى إن كانت هناك أم لا ..

أدخل الفيسبوك من هاتفي ، أضع صورة حزينة على حائط (كارول) .. اشتقت لها هذه البعيدة القريبة ..

هل هي مريضة ؟ هل لهذا لا تردّ عليّ ؟

أتمنّى لو أنّ هناك آلة معيّنة لنقل المرض هاتفياً أو بلوتوثياً أو لاسلكياً .. فمثلاً ؛ سأتكلّم مع حبيبتي بالهاتف وإذا بها مريضة فسأتضايق ! هنا سأستخدم الآلة الّتي عندي لجلب المرض منها إلى جسدي فتصبح هي معافاة وأصير مريضاً .. وهنا ستتضايق هي أيضاً ؛ وستستخدم نفس الآلة الّتي عنها لتجلب المرض منّي إليها ونتبادل الأدوار ! ونظلّ هكذا ننقل المرض بيننا حتّى يمرض المرض شخصياً ، ويموت من إرهاق الانتقال .. وهكذا ؛ نصبح سويّة في صحة جيّدة !

لا .. أرجو ألا تكون مريضة ..

سأجنّ ..

أحياناً أعتقد أنها تشبه (تشارليز ثيرون) ، لا شكّ أنها جميلة ورقيقة مثلها ، لا شكّ ..

أتنهّد ..

أرمي نفسي على السرير ؛ وأنام بسرعة سيارة فيراري موديل هذا العام !

*****

-٤- الأحذية ..

يقف أمامي (دراكولا) الشاحب ..

ينظر إلي بعينيه الزرقاوين ، ويقول : - يجب أن تسامحني ..

أقول ببراءة :

- سامحتك ، ولكن لماذا ؟!

يكشف عن أنيابه ، وينقضّ على عنقي صارخاً : - لأجل هذا !

أصرخ .. أصرخ .. أصرخ ، وصوت (أصالة نصري) يصدح في الخلفية : (سامحتك سامحتك ، سامحتك كتير) !

وأستيقظ فجأة ..

هذه الأحلام تكاد تصيبني بالجنون ، فعلاً ..

يرنّ هاتفي، إنه (مفتاح) ..

- نعم يا صديقي ..

يقول في عجلة :

- أنا قرب بيتك يا (مشهور) ، أين العنوان بالضبط ؟!

أنهض بسرعة كالملسوع :

- قرب بيتي ؟! هنا ؟!

- نعم .. أين العنوان ؟!

أخبرته بالعنوان سريعاً دون أن أغير ثيابي .. فهي التي أخرج فيها ، التي أبقى فيها ، التي أرتديها وأنا وحدي ، أو مع الآخرين .. عادي ..

- لا تنسى أن تحضروا معكم فطوراً يا (مفتاح) ..

- حسناً ..

أحاول استغلال الأمر أكثر وأكثر : - ومشروبات غازية أيضاً ، لا تنس ..

ينهي المكالمة :

- حسناً أيها اللعين ، حسناً ..

أنتظرهم بعض الوقت ، قبل أن أسمع الطرقات على الباب بقوّة رهيبة .. لو كان الباب حياً لبكى .. أود أن أقول لمن قال : (عمرك شفت شي باب عم يبكي) أنني رأيت ؛ نعم .. رأيت حتماً ؛ هذا الباب !

أفتح الباب وأدخلهم ، عناق ، ومجاملات ، وقبلات على الخدين ، ومصافحة حارة بيني وبين (ناتاشا) ، ثم الجلوس ..

نتجاذب أطراف الحديث ، نعود بذاكرتنا إلى الماضي ، نتحدث عن أحوالي الآن ، عن أحوالهما ، عن الأوضاع بشكل عام في الدول العربية والعالم ..

يااااه ! منذ زمن بعيد لم أجلس مع أحد يكلمني بهذا الصدق ، أشعر أنني سعيد للغاية ..

مجاملات .. مجاملات .. مجاملات ..

فجأة قرر (مفتاح) أن يخلع حذائه، وليته ما فعل !

فاحت رائحة جواربه في البيت الضيق المختنق ، وشعرت أننا جميعاً أمام نسخة حقيقية من رواية (ماركيز) الشهيرة: (الحبّ في زمن الكوليرا) !

المشكلة وقتها أننا -كأشخاص حوله- تحوّلنا إلى نسخة مشابهة -أيضاً- من رواية (فيكتور هوجو) الشهيرة : (البؤساء) !

اللعنة يا (مفتاح) ، أهذا وقتك ؟!

أنهض وأفتح النوافذ ، يتغير الجو قليلاً ..

جيد ..

أسأل (ناتاشا) :

- كيف (مفتاح) ؟!

- ممتاز ، لا يترك باباً إلا ويقتحمه ..

تقولها وتضحك بخبث .. أضحك بخبث مماثل ، ويضحك هو معنا أيضاً ، لا أدري لماذا !

- هل يجيد التعامل معك ؟! هل هو طيب ؟!

- وهل أنت المحامي الخاص بها ؟!

كانت هذه من (مفتاح) ، الذي تجاهلته (ناتاشا) وقالت بصدق وهدوء : - إنه رائع ، وأقول هذا في وجهه ومن وراء ظهره .. حقاً، إنه أكثر من طيب ..

- لا نريد أكثر من هذا ..

وألتفت إليه وأسأله :

- .. وأنت ، هل هناك أي أخبار جديدة عندك ؟!

- كلا ..

أسأل بحرج :

- هل تنتظران مولوداً ؟!

نظر إلى (ناتاشا) ، فقالت :

- لا ..

- لماذا ؟!

تتنهد وتقول :

- لا نعرف ، نحن ننتظر ..

أتنهد مثلها وأقول :

- نعم ، كلّنا ننتظر ..

- أنت تنتظر أيضاً ؟!

سألني (مفتاح) ، وأجبته :

- نعم .. أنتظر الضوء ، أنتظر اليد المنقذة ، أنتظر التغيير الحتمي ، أنتظر الجديد الذي لا بدّ أن يأتي ، أنتظر أي شيء مثير ربما يجعلني شخصاً مختلفاً ..

يقول بغموض :

- سيأتي لا محالة ، فانتظره ..

- أشعر أنّ كل شيء صار عبثياً .. أشعر أنني بانتظار (جودو) الذي لا يجيء !

يقول بنفس الغموض :

- سيجيء يا (مشهور) ، صدقني ..

أقول بملل ونفاد صبر :

- أستبعد هذا ؛ (جودو) لن يأتي .. ربما هو مشغول مع شقيقه (كاراتيه) أو (تايكواندو) الآن ! نعم .. لن يأتي..

نضحك جميعاً ..

أسأله :

- .. ما أهم طموحاتك الآن ؟!

- أنا ، أم نحن ؟!

- أنتما ..

ينظر إلى (ناتاشا) ويقول :

- أن ننجب طفلاً ..

أسكت ..

يسألني هو :

- .. وأنت ؟!

- أشياء كثيرة جداً ..

- مثل ماذا ؟!

- مثلاً ، أريد أن أعبر المحيط الأطلسي سباحة !

يغمغم :

- صعب ..

- أعرف ، ولهذا فإن طموحي أولاً أن يتبخر كل الماء الذي فيه وبعدها سأغامر وأعبره !

يضحك ويسألني :

- هل هناك طموحات أخرى ؛ قابلة للتحقيق ؟!

- أتمنى لو تنقرض الزلازل من العالم .. يا رجل هناك عشرات منها كلّ يوم ، القتلى بالآلاف ! يبدو أنّ يوم القيامة اقترب كثيراً جداً منا .. النهاية وشيكة يا صديقي! وشيكة !

يقول وقد بدت على وجهه علامات تذكر شيء ما : - على سيرة الزلازل .. يُقال إنه بعد أن جاء المغول من شرق (الهند) الغربيّة ؛ تواجهوا مع المغول الّذين في أمريكا البريطانية ، فحدثت بين المغول والمغول مشاجرة وصلت عنان السّماء لدرجة أنّ الكثير من المغول قد قتلوا ممّا جعل البحر الأحمر يصبح أحمر من شدّة الدّماء ، والبحر الأشقر طعن نفسه ومات فاشتهر منذ ذلك الوقت باسم البحر الميّت ، وحزن عليه البحر الطّحلبي وارتدى ملابس الحداد فصار البحر الأسود ، ممّا جعل البحر اليتيم يخاف فابيضّ شعره ليصبح البحر الأبيض ؛ هذا طبعاً قبل أن تتمّ زيادة كلمة (المتوسّط) على اسمه بقرار من (نابليون) الثّاني ، بعد أن صار يهزّ وسطه وينافس (فيفي عبده) في جمع التبرّعات الخيريّة لإغاثة منكوبي الزّلازل !

نضحك من جديد .. جميل ، اشتقت لهذه الجلسات الكوميدية التي تشعرني أنني (تيمون) في حضن (بومبا) .. أو هو العكس ؟! لا أدري ..

أقول له :

- لا شكّ أنكما متشوقان جداً لإنجاب طفل ، بما أن هذا هو الطموح الأوّل لديكما ..

يعدل جلسته ويقول :

- جداً .. أنت لا تعرف كم قرأنا عن هذا ، وكم استشرنا من الأطباء والخبراء والمتخصصين ، وكم ذهبنا لسحرة ومشعوذين ورجال دين ؛ دون جدوى .. إننا نجرب كل الحلول ، ونفتش دوماً ، فالخلل ليس فيّ ولا فيها .. هناك شيء آخر ..

تذكرت شيئاً شاهدته في التلفاز منذ فترة ، فقلت : - مرة سمعت عن جمعية اسمها (جمعية معالجة الأطباء البيطريين حسب أسس الهندسة الشعبية) ، أعلنت هذه الجمعية عن حاجتها إلى متطوّعين من الرّجال لإجراء تجارب علميّة حول زرع الأرحام في الذّكور ، وعن حاجة الأمّة لرجال يستطيع الواحد منهم أن ينقل لغيره معنى الشّعور بأن يسكن جنين آدميّ داخل الأحشاء ، لعلّ هذا يُساهم في أن يعذر بعض الرّجال الحمقى نساءهم الحوامل في هاتيك الشّهور التّسعة !

هتفت (ناتاشا) وهي تصفق بيديها كالأطفال : - رائع ، فلنذهب إليهم يا (مفتاح) ، هكذا نستطيع أن نتعاون معهم لإنجاب توأم .. أنا أحمل واحداً ،

وأنت تحمل الآخر !

يتجادلان قليلاً حول هذا الأمر ، وأنظر إليهما مستمتعاً.. يبدو (مفتاح) بجانبها مثل (قطة) تقف بجانب (هولك) !

أنهض ضاحكاً ، وأقول :

- كفا عن الحوار الآن ، الجمعية أغلقت أبوابها للأبد .. دعونا نأكل وبعدها سنتحدث بأي شيء تريدونه ..

تنهض (ناتاشا) وتساعدني على تحضير الفطور بسرعة ، بينما يمسك (مفتاح) بريموت التلفاز ويبدأ بالانتقال بين القنوات ..

بعد أن أكلنا وشربنا وشبعنا ، قالت (ناتاشا) إنها تريد الذهاب لممارسة بعض التسوق ..

صاح (مفتاح) :

- ماذا ؟! لكننا وصلنا الآن ؟!

تقبله من وجنته ، وتقول وهي متجهة إلى الباب : - لا شكّ أن هناك الكثير من الأشياء التي لا بدّ أن تتكلم فيها مع صديقك ..

ألتفت إلى (مفتاح) :

- حقاً ؟! ولم تقل لي ؟!

يبتسم بغموض ، وتتجه (ناتاشا) نحو الباب كي تفتحه وتخرج، لكنّ زوجها يعاجلها بسؤال : - لحظة ! كيف ستتسوّقين وأنتِ لا تعرفين أي مكان هنا؟

تقول ببساطة :

- أنا امرأة يا عزيزي ، ولا توجد أي صعوبات أو عوائق في الكون قد توقف امرأة عن التسوّق ، كما أنّني سأقوم بتنزيل تطبيق على هاتفي المحمول الآن ، كي يساعدني !

ينظر لي (مفتاح) ابتسامة معناها (زوجتي – عظيمة – باستخدام – التكنولوجيا) ! فنظرت له نظرة معناها (اخرس – فكل – شخص – في – عالمنا – اليوم – يعرف– أيضاً) !

تخرج (ناتاشا) :

- سلام ..

- سلام ..

يقول لي (مفتاح) ، وهو يعدل من جلسته ، ويخفض صوت التلفاز حتى آخر درجة : - اسمع ؛ هناك موضوع مهم جداً ، وهو سبب هذه الزيارة التي أتيت بها عندك ..

تتوتّر أعصابي ، فأشتمه .. وأقول : - ماذا هناك ؟!

يصمت قليلاً ، ثمّ يقول في خطورة : - العين !

لم أفهم ، فملت نحوه أكثر وقلت : - ماذا ؟!

يقول ناظراً في عينيّ مباشرة : - العين .. إنّه قادم !

*****

-٥- كان لابدّ لي ..

يسود صمت ..

لم أفهم ما الذي قاله ، ولا لماذا قاله بهذه الطريقة !

العين ؟!

ما هذا ؟!

من هو هذا ؟!

أقول له :

- ما القصة يا رجل ؟! لا تكن مجنوناً ، أرجوك !

يتنهد (مفتاح) ويتراجع بظهره إلى الخلف ، وينظر لي دون أن يتكلّم ..

أقول في عصبية :

- لا تؤجّل عمل اليوم إلى الغد يا (مفتاح) .. بل إلى الأسبوع القادم ! وحاول أن تكون ممّن يضرب حجرين بعصفور واحد ؛ فربّما كان إبن البطّ (عوّام) ولكن في بحر آخر !

- ماذا تعني ؟!

- تكلّم ! هذا ما أعنيه ؛ تكلّم !

- حسناً ، سأتكلم ..

قالها ، واقترب مني مردفاً : - .. منذ أشهر وأنا أحلم ذات الحلم كلّ يوم ، كلّ يوم يا (مشهور) بلا رحمة .. ظننتُ أنني أهلوس في البداية ، ولكن كان الأمر حقيقياً وواقعياً أكثر مما ينبغي .. هناك ذلك الكيان المتسربل بالسواد ، والذي يظهر لي في المنام ويقول لي إن العين قادم .. أحاول أن أسأله ، وأن أعرف أي معلومات عنه ، لكنّه يصمت ولا يجيبني ..

وسكت قليلاً ، واستطرد :

- .. تكرر الحلم كثيراً جداً بصورة مزعجة لحوحة في منامي بل في منام (ناتاشا) .. استيقظت ذات يوم مرعوبة وصرخت بما رأت .. استغربت كثيراً من أننا رأينا ذات الشخص في المنام ، والذي لا تظهر منه ملامحه ، بل السواد فحسب ..

أسأله بحماس :

- وهل قال شيئاً آخر غير هاتين الكلمتين ؟!

يهز رأسه يميناً ويساراً : - في الحلم ؟! كلا .. لكن أتتني الكثير من الاتصالات الغريبة من أرقام غامضة وخاصة .. أفتح الخط فلا أسمع سوى الكلمتين .. اعتقدت أن في الأمر خدعة أو نوعاً من المزاح ، ولكن أي دعابة هذه التي تأتيني في حلمي وحلم (ناتاشا) ؟! ربما كانت دعابة من مخلوق فضائي أو من أحد علماء (ناسا) !

- و ؟!

- بعدها قررت أن أبحث أكثر عن الموضوع في المراجع والكتب ، لعلي أرى شيئاً يفيدني ، أو معلومة تنير لي طريقي مثل عود كبريت في العتمة !

أبتسم وأقول في سخرية :

- عود كبريت في العتمة ؟! أراك صرت شاعراً !

يقول في جدية :

- هناك أشياء كثيرة لا تعرفها عني .. لقد تغيّرت ..

- المهمّ .. أخبرني بالمهمّ .. ماذا وجدت ؟!

يميل نحوي ويقول :

- وجدتُ الكثير من الكلام المذكور في الكتب القديمة والمخطوطات العتيقة عن العين .. لقد تكلمت عنه جميع الكتب التي تؤرخ وتتنبأ بالأحداث الغامضة .. اسمه مذكور في الوثائق السرية وملفات التعاويذ والأسرار العجيبة .. اسمه فقط دون أي وصف لشكله أو ملامحه ..

- وماذا قالوا عنه في الكتب ؟!

اعتدل في جلسته ، وقال وعيناه تبرقان : - هنا مربط الفرس .. إنه قادم ومعه كلّ الحلول ، لكلّ المشاكل في هذا الكون .. هو الذي سيأتي ليحلّ عقدة الحبل الذي يكاد يخنقنا ويقتلنا .. هو الذي سيأتي ليجيب على جميع الأسئلة ، ويبسط كلّ الألغاز والأحجيات .. هو الذي سيأتي جالباً معه الطريق التي سنسير بها ، متوجهين إلى أهدافنا وآمالنا وحياتنا كما نشاء ..

أنظر إليه ، وقلبي يرقص !

رائع ، هذا ما نحتاج إليه في هذا الوقت بالضبط ..

شخص يساعدنا ، يأخذ بأيدينا ، ينتشلنا من المستنقع الأسود الذي نسبح فيه رغم أنوفنا ..

رائع !

أقول له :

- وهل هناك وقت معيّن ؟! هل هناك أي شيء عن الموعد الذي يتوقعون منه أن يحضر فيه ؟!

- نعم .. لقد قرأت عن كلّ الأوقات التي يتوقعون فيها قدومه إلينا ، وعن المكان الذي سيكون فيه ..

أصرخ بلهفة :

- متى وأين ؟!

يهمس :

- بعد عدّة أيام .. هُنا ..

*****

- ماذا ؟!

أقولها وأنظر إليه في بلاهة ..

- تقول الحقيقة ؟!

يبتسم في ظفر :

- ولا شيء سواها .. سيكون هنا في هذه المدينة بعد عدّة أيام فقط ، بكل شموخه وعظمته وحلوله ..

أنهض وأقفز في الغرفة .. ينظر إليّ ويضحك .. أقول : - اعذرني ، حماسي شديد جداً .. جداً !

يقول لي :

- لا شك في هذا ، لا شكّ ..

أصمت قليلاً ، ثم أسأل بقلق : - هل يعرف عنه الكثيرون ؟!

- لا أعرف ، ولا تنس أنه من طراز الأشياء التي لا يعرفها إلا من يبحث عنها .. ربما هناك من بحث عنه ووجد بعض التفاصيل التي أعجبته ، وربما البعض الآخر جاء إلى المدينة كي ينتظره –مثلي أنا و(ناتاشا)- ، لا أعرف .. ربما ..

أصمت وأفكر ، بينما استطرد هو : - ربما إذا حضر استطعنا أن نعرف منه كيف سنزوّجك !

أقول :

- لا أريد أن أتزوّج ، يعّ !

- ماذا ؟! أنت مجنون .. لا بدّ أن تتزوّج ، لا بدّ ..

أصمت وأفكّر ..

لو أننا في (بريطانيا) الآن لما قال لي أي أحد هذه العبارة.. هناك حرية رهيبة باختيار الصديقات وممارسة الحياة الرغيدة بكلّ هناء ..

أحترم (بريطانيا) ، وأتمنى لو كنت بريطانياً !

و(مفتاح) ما زال مصراً على الحديث بنفس الأمر ، يسألني : - لو تزوّجت ؛ أين ستسكن ؟!

أعجبتني لعبة (لو) هذه ، فأجبت : - ليس هنا طبعاً ..

- أين ؟!

ينطلق لساني :

- إذا تزوجت ، سيكون البيت مخروطيّ الشّكل وله أربع زوايا قائمة بأسلوب دائري لا يوجد إلاّ في المثلّثات .. وسأضع فيه ثلاثة حمّامات عربيّة وليس إفرنجيّة بما أنّني من عشّاق العروبة !

- جميل ..

- نعم .. سيكون المطبخ مقسّماً إلى ثلاثة أقسام متساوية الكثافة والطول والطول والكثافة ، أوّلها للفطور وثانيها للغداء وثالثها للغداء أيضاً فأنا أحبّ النّوم باكراً وبدون عشاء ، أيّ قبل الفجر بقليل ، من أجل (الرّيجيم) و(الدايت) .. وسيكون هناك صالون كبير جداً جداً ، فيه مسبح وصالة ألعاب رياضية وقاعة تنس وبولينغ وإسطبل كلاب وحظيرة دجاج مستورد من فصيلة الثدييات !

- جميل ..

- نعم ، وسيكون بهذا الصالون بعض (الكنبايات) ، وطاولة من الخشب الفولاذي ، وتلفزيون سينمائي يُبثّ من خلال المذياع الموجود في كلّ صحيفة أسبوعيّة عندي بالممرّات ! كما أنّني لن أنسى غرف النّوم إذ أنّني لن أرضى بأقلّ من غرفة نوم في كلّ زاوية في البيت وحتّى في السّقف .. سيكون هناك غرفة نوم في كلّ غرفة نوم، وحتّى في الصّالون والسّفرة وغرفة الجلوس ، وحتّى في المطبخ سأضع سريراً و(كومدينة) ! حتّى في الحمّامات سأضع غرفة نوم بين (السيفون) والسيراميك لحالات الطّوارئ ، لكن فوق السّطوح لن أضع غرفة نوم أبداً إذ أنّه سيكون ممتلئاً بالبطّانيات !

- جميل ..

- أكيد ، كما أنني لن أنسى البيانو الّذي له هيئة جيتار، وله أصوات كلاسيكيّة طربيّة ، تشبه طبلة العود الآلي !

ينظر لي بطريقة غريبة ..

لماذا يا ترى ؟!

يقول لي :

- جميل ، طموحاتك عالية جداً يا فتى ..

أهمّ بالتعقيب على كلامه لكن فجأة رنّ هاتفه ..

- آلو ..

قالها واستمع قليلاً وبدا على وجهه الفزع : - .. ماذا ؟! حسناً ، حسناً .. أنا قادم ، نحن قادمان ..

أقول بتوتّر :

- ماذا هناك ؟!

يغلق الخط ويلتفت إليّ بوجه شاحب : - (ناتاشا) ..

- ماتت ؟!

يلكمني في أنفي ، ويصرخ :

- لا ..

ويفسّر :

- .. إنها في مركز الشرطة !

*****

-٦- من انتظاره ..

بسرعة خارقة تكاد تتغلب على (سوبرمان) و(الرجل الحديدي) و(الرجل الوطواط) و(الرجل العنكبوت) وكل أفراد عائلة (مارفل) و (دي سي كوميكس) تلك ؛ وصلت مع (مفتاح) إلى مركز الشرطة ركضاً ، ونحن نلهث ..

دخلنا بسرعة وأخبرنا الضابط المسؤول عن مدى علاقتنا، وفي الداخل وجدنا (ناتاشا) ، ومعها الكثيرات من النساء ، وكلّهن يبكين ..

وعرفنا السبب ..

السيدة الفاضلة الذكية الرائعة (ناتاشا) تسوّقت قليلاً ثم أصابها الملل ، الذي تزامن مع مرور مظاهرة نسائية غاضبة ، للمطالبة بحقوق المرأة ، وبرفض ظلم الرجل !

هذا جعلها تقف معهنّ ، ترفع واحدة من اللافتات الضخمة المعادية ، وتصرخ بأقذع الشتائم التي تعلمتها من (مفتاح) ، وشاهدتها في الكثير من الردود الغاضبة التي تجيء من شبان عاطفيين يرفضون أن تكون هناك أفلام معادية للإسلام ..

بالمناسبة ، كان هذا يضحكها ؛ كيف لشباب غاضبين من أجل هدف ديني كريم ونبيل ، أن يشتموا ويسبّوا ويقولوا كلاماً يخجلون من ترداده أمام بعضهم البعض؟!

ما علينا ..

نقف قليلاً مع الشرطي ونحاول الاستفسار عن الخطأ في هذا ، وعرفنا منه أن الخطأ كان في وجود مظاهرة ضدّ النساء بنفس الوقت ، مما جعل النساء يغضبن ، ويهاجمن الرجال ، ويقمن بضربهم بأقصى ما استطعن من قوّة !

الرجال الأربعون الآن في المستشفى ، رضوض وكسور في كلّ أنحاء الجسم ، وأحدهم في حالة خطرة بعد أن كادت إحدى النساء تهرس جمجمته وتسويها بالأرض ..

بيني وبيني : لا أستبعد أن تكون هذه (ناتاشا) ؛ فقدمها تكاد تكون أضخم من (التايتانيك) ، لو كانت على شكل قدم !

يحاول (مفتاح) أن يعطي الشرطي رشوة لكنني أمنعه .. أيحسبنا في (سوريا) هذا المعتوه ؟!

مرّة كانت لي صديقة من (سوريا) ، وقد وصلت سنّ الزّواج وأتاها خُطّاب كثيرون ، وطلبت رأيي ونصيحتي فقلت لها إنها لو تزوّجت مطرباً أو ممثّلاً فلن تضمن ولائه بسبب المهووسات من حوله .. وإذا تزوّجت شاعراً أو كاتِباً ستموت من الجوع بما أنّه لا يوجد كاتب في الوطن العربي كلّه يعيش من دخل رواياته .. وإذا تزوّجت موظّفاً حكومياً سيقتلها الرّوتين ، وسيغضبها سهر أصدقائه الدّائم عنده للعب الورق .. وإذا تزوّجت ضابطاً فستكون حياتها سلسلة غير منتهية من الأوامر غير المنطقية .. وإذا تزوّجت رياضياً سيجعلها أداة للتّمرين والملاكمة وستصبح نسخة عربية من شخصيات فيلم (أفاتار) .. وإذا تزوّجت مسؤولاً فسيهلكها بخطاباته القاتلة وسياسته المملّة ؛ لذا فإن

أفضل نصيحة وجدتها لها ؛ أن تجد رجل شرطة عادي لتتزوّجه ؛ فهو إن خاصمها ستستطيع رشوته بعشر (ليرات) ، وستعود الأمور بينهما أحسن من قبل !

نجلس أنا و(مفتاح) ، ونفكّر ..

(ناتاشا) !

وكأنّه ينقصنا أن تفعلي هذا !

أسترق السمع إلى شخص بجانبي ، يقول لصديقه : - هل تعلم أنّ (الرّازي) كان طفلاً عندما ولدته أمّه ؟!

أضحك وأقول لـ (مفتاح) أن يلتفت ، وينظر للرجل الآخر الذي يردّ بانبهار : - حقاً ؟!

- نعم ، نعم .. هذه معلومات سرية عرفتها أنا بصعوبة .. طيب ؛ هل تعلم أنّ (هتلر) كان يبتلع اللّقمة بعد مضغها ؟!

- لا شكّ أنّك تمزح !

- كلا ، حتّى (القرطبي) كان ينام كلّ ليلة ..

- كلّ ليلة ؟!

- نعم .. و (تولستوي) إذا سمعت عنه ، كان إذا جلس وحده ظلّ صامتاً ..

- غريب هذا ..

- كلا ، الغريب هذا : (ابن المقفّع) ، صاحب (كليلة ودمنة) ؛ هل تصدّق أنه كان يتنفّس حتّى وهو نائم ؟!

نضحك أنا و(مفتاح) بقوّة .. نحن في عالم ممتلئ بالمجانين ! من الجيد أنني و(مفتاح) عاقلان لا نفعل شيئاً مثلهما ، ولا نتكلم عن المواضيع السخيفة التي يتحدثان بها ، حتى لو كانت هذه المعلومات التي قالها –بالنسبة لي- أسمعها أوّل مرّة !

صدقاً : أسمعها أوّل مرّة ..

يرمقنا الشرطي القريب بحدّة ، ألتفت إلى (مفتاح) وأسأله : - هل تسيء معاملتها إلى الحدّ الذي يجعلها تهتف ضدّ الرجال أيها الوغد ؟!

يرمق الأرض بحسرة ، ويقول :

- بصراحة ، أضربها أحياناً !

- يا كلب ! ولماذا ؟!

- أحياناً تضربني ، وأضطر للدفاع عن نفسي ، فأهاجمها بأي شيء أراه قريباً مني .. آخر مرة ضربتها بمكواة الملابس !

- عليك اللعنة !

ثم أقول في نفسي :

- .. لا شكّ أنها ستشارك معهنّ في المظاهرة ، لا شكّ !

لكن ، بصراحة : النساء مدلّلات في هذا العالم ..

فعلاً ؛ لا يوجد أي سبب منطقي يجعل أي امرأة تعترض على حياتها ، فكلّ شيء يخدمها ويريد راحتها وأكثر ..

هؤلاء النسوة ! تباً لهنّ ، تباً !

يطالبن بحقوق المرأة ويطلبن لها المساواة بالرّجل الوغد الّذي ظلمها كثيراً وانتهك حقوقها منذ مئات السّنين –كما يقولون ويكذبون- ..

حسناً ، ولا اعتراض لدينا ، ولكن يجب أن يكون هناك عدل من نوع آخر .. نريد نحن الرجال أن نُعامل في المصالح الحكومية مثل النساء ! نريد أن يكون هناك أنواع زواج تدفع فيها المرأة مهراً للرّجل كي يوافق على زواجها منه ! نريد أن تنهض المرأة للرّجل كي تجعله يجلس مكانها في حافلة النقل المزدحمة ! نريدها أن تشارك في المهن وأن نشاهد المرأة الّتي تعمل في النّجارة والحدادة و(الميكانيك) وحفر المياه العادمة وتصليح الغسّالات والثلاّجات !

أهمّ نقطة : نريد أن يكون لباس الفتيات عند البحر وفي المسابح مثل لباس الرّجال !

رباه ! لو أن هذا يحدث معي ومع (كارول) !

ما الذي سيحدث لو كنّا معاً عند البحر ، وكانت ترتدي قطعة واحدة مثلي ؟!

لا شكّ أن الرجل جميعاً سيدوخون .. سيهجمون علينا ، كي يقتلوني ، ويخطفوها !

واحدة بجمال (سكارليت جوهانسون) وأكثر ستثير بهم كلّ عواصفهم المكبوتة .. حتماً !

أتكلم أنا و(مفتاح) قليلاً مع الضابط المسؤول .. يبدو أنّه لا حلّ للمشكلة في هذا اليوم ..

وعدنا الضابط بأنه سيطلق سراحهنّ جميعاً غداً ..

نصافحه ونخرج ..

لا شكّ أن (ناتاشا) ستكون سعيدة .. ستقضي ليلة كاملة مع نساء غاضبات ، وكلهنّ سيتحدّثن طوال الليل عن الرجال ، وسيمارسن أكثر نشاط تحبّه أي امرأة في هذا الكوكب : الغيبة !

أسأل (مفتاح) :

- هل أنت جائع ؟!

يلعق شفته السفلى بلسانه على طريقة (توم آند جيري) الشهيرة ويقول : - نعم ، إلى درجة تجعلني قادراً على التهامك كلّك الآن !

- تعال كي نأكل في مطعم ..

- ماذا تريد أن نأكل ؟!

- هامبرجر !

يشهق ويضرب صدره بيده :

- ماذا ؟! مستحيل !

- لماذا ؟!

يقول في خطورة :

- إنه مصنوع من مواد مسرطنة يا (مشهور) ! هل أنت ضحل الثقافة حتّى هذا الحدّ ؟!

ممتاز ..

هل أنت يا (مفتاح) من ذلك الطراز ؟!

تلك الرسائل الإلكترونية تصل فعلاً إلى الكثيرين ، وتغير من أفكارهم بشكل جذري ..

أتتني الكثير جداً من (الإيميلات) الحمقاء ، التي تقول إنه سيصيبني الإنفلونزا والجنون إن تناولت شيئاً من لحم الطيور والأبقار ، كما أن (الشاورما) دائماً مسمّمة ومغشوشة ، و(المايونيز) مصنوع من مواد مشبوهة ، والمشروبات الغازيّة تحطّم الأسنان وتخلق التهابات في اللثّة ، و(البرجر) و(السكالوب) و(الزنجر) منتجات تسبّب السرطان ، وشعيرية (النودلز) مصنوعة من عظام الحيوانات المهروسة ، و(المرتديلاّ) تتكوّن من أكثر أجزاء

الخروف اشمئزازاً ، كما أنّهم يصيدون أسماك البحار من بقع ليست بعيدة عن التسربات النفطية !

رباه ! تثير جنوني كلّ هذه المقالات والتحذيرات الّتي تطلب منّا ألاّ نأكل شيئاً ، وأن نعود إلى زمن (فلينستونز) الطبيعي الهادئ البعيد عن المواد الكيماوية والمثبتات الصناعية والنكهات العضوية وما شابهها !

أقول :

- حسناً ، ماذا تريد أن نأكل ؟!

- ساندويشات حمّص وفلافل !

أضحك ، ليس عندي مانع .. تبقى هذه الساندويشات هي الأقرب للقلب ، والجيب !

نمرّ على مطعم قريب ، يقف (مفتاح) ويطلب من البائع عدة ساندويشات من أجل الغداء وإفطار الغد، نعم .. إفطار الغد ، نحن نشعر بالإرهاق الشديد ، وحتى لو أنّ الوقت عصر ، فإننا سننام حتى الصباح مثل الجثث ..

نعود للبيت ، ونتحدث قليلاً عن الذي حدث اليوم ، أثناء الأكل ..

بعدها جلسنا وفتحنا التلفاز ، كانت القناة علمية من ذلك الطراز الذي لا يقدم سوى معلومات غريبة جداً ، لا يدري أحد ما هو مصدرها الحقيقي ..

كان المذيع يقول :

- وُجد في مقبرة الملكة (كليوباترا) في المغرب ، أنّ (كوكاكولا) كان مشروباً فرعونياً يستخدم عادةً لإضفاء المزيد من القداسة في حفلات التّحنيط ، أما (بيبسي) فلم يكن سوى أداة يرسمون بها حكمهم الأزلية على الجدران !

أتجاهل كلامه وأسأل (مفتاح) :

- هل لي بسؤالك عن شيء ؟!

- تفضل ..

أقول بفضول :

- لماذا أسموه العين ؟!

يجيبني :

- أعتقد أن الجواب واضح .. اسمه العين لأنه سيجعل الناس يرون الحقائق ، ويرون الحلول ، ويرون كيف أن حياتهم ستتغير ..

أتساءل :

- هكذا ؟!

يقول بثقة :

- نعم ، أنت ترى بالعين ، وأنا أرى بالعين ! لا أحد منا يرى بقرون استشعاره أو بموجاته الصوتية إلاّ النمل أو الخفافيش .. صحيح ؟! ولهذا هو مبعوث للبشر

.. للناس الذين يرون بأعينهم ولكنّهم لا يرون كلّ شيء ، ولا يعرفون عشر ما يعرف ..

أحك أنفي مغمغماً :

- أي أنه سيرشدنا إلى البصيرة ؟!

يصفق ويقول :

- بالضبط ، أو بالأحرى ؛ هو سيكون البصيرة .. هو سيكون العين التي ستحدّق جيداً بماهية الأشياء !

أغمغم وعيناي تنظران إلى صرصور يتسلى بالمشي على السقف بكلّ هدوء :
- جميل .. جميل ..

نصمت قليلاً ، وأتناول حذائي وأرميه على الصرصور .. يسقط قتيلاً على الأرض !

نسمع المذيع في التلفاز يكمل قراءة أخباره المدهشة : - عثر الرّحالة (ابن فطّوطة) في (كوالالامبور) على مخطوطة من ورق السّجائر ، مذكور فيها أنّ الملك النّبطي (كنعان) الأوّل كان يبتر أيدي كلّ من يحاول التقرّب إليه، ثمّ يدفن هذه الأيدي في مكان واحد ، سمّي (البتراء) فيما بعد !

من الجيد للمرء أن يمتلك تلفازاً فيه قناة علمية محترمة كهذه ، أنا أول مرة أعرف هذه المعلومة .. جيد ..

أنهض وأحضر بعض (البزر) والمكسرات من الداخل ، وأسأل (مفتاح) : - ماذا لو كان الأمر متعلقاً بشيء آخر ؟

- مثل ماذا ؟

أقول له بخطورة :

- ماذا لو كان الأمر مكملاً لنظرية المؤامرة الشهيرة ؟

- أي نظرية مؤامرة ؟

- تلك النظرية الشهيرة المتعلقة بالعين ..

- لم أفهم ..

أنظر إليه ، أفكر قليلاً وأدير الأمر برأسي ، قبل أن أقول : - هل سمعت عن الماسونية ؟

يضحك ويقول :

- طبعاً سمعت ، هناك امرأة حمقاء في فيسبوك اسمها (سماح أم العرايس) تتحدث دوماً عن الماسونية ، وعن أنها ترسل رسائلها وستيتساتها من المريخ ، ودائماً تتحدث عن عين (حورس) ، و ..

ولمعت عيناه فجأة ليهتف في انفعال :

- .. عين (حورس) ؟ اللعنة على شياطينك ! هل تعتقد أن هذا العين له علاقة بالماسونية مثلاً ؟

أجيبه وأنا أنظر في هاتفي ، ضاغطاً بعض الأزرار : - عين (حورس) ، كانت تسمى سابقاً (عين القمر) و (عين رع) ، وبالمصرية القديمة كانت تسمى (أوجات) ، هي رمز مصري قديم يستخدم للحماية من الحسد ومن الأرواح الشريرة ومن الحيوانات الضارة ، وهي في شكل قلادة يتزين بها الشخص ، وتعبر عن القوة الملكية المستمدة من الآلهة (حورس) أو (رع) .. كانت تلك القلادة توضع أيضاً على صدر مومياء (فرعون) لتحميه في القبر .. تفنن الفنان المصري القديم في صناعتها من الذهب وتشكيلها بحيث تحمل صوراً للإله (حورس) والإله (رع) ، ورموز الحياة (عنخ) والدوام (جيت)، والصون (صا) !

- رباه ! كيف عرفت كل هذا ؟

أرفع هاتفي في وجهه وأقول له :

- اطمئن ، لست ذكياً حتى هذا الحدّ .. قرأت لك للتوّ ما هو مكتوب في (ويكبيديا) !

يسألني :

- هل تعلم أن هذه العين وتحتها صورة الهرم المصري، موجودة في الدولار الأمريكي ؟

- حقاً ؟ لا أعلم .. أول مرة ..

- ربما هذه هي حقيقة العين ، وسره ..

نصمت قليلاً ..

نتابع التلفاز ، ننظر في عيون بعضنا ، يشرد كل واحد في عالمه الخاص ..

أقول له فجأة :

- ماذا لو كان السر غير هذا يا صديقي ؟!

يلتفت لي :

- سرّ ماذا ؟!

- العين ..

يقول باهتمام :

- هل تعتقد أنّ هناك احتمالاً آخر ؟!

- مثل ماذا ؟!

أفكر قليلاً ، وأقول :

- ربما أسموه العين لأنه سيدلّ الناس على عين الصواب.. أي أنه سيرشدهم إلى الطريق الصحيحة ..

- هذا ما كنت أتكلّم عنه بالضبط ..

- حقاً ؟!

- نعم ، سيدلّ الناس إلى عين الصواب !

أسأله بدهشة ، فلم أسمعه يقول هذا إلا الآن بالضبط: - أنت قلت هذا ؟!

- نعم ..

- متى ؟!

يقول صادماً إياي :

- الآن ..

أرمقه بحقد ، وأتمنى لو كنت فلاحاً في هذه اللحظة، فقط كي أخرج إلى مزرعتي ، وأقتل البقرة والأغنام ، وأحصد القمح ، وأحضر الفأس ، وأضعه في منتصف رأس (مفتاح) !

في منتصفه ، تماماً ..

يخرجني من تخيلاتي الإجرامية ، ويقول وهو يفكر ، متأملاً جثة الصرصور الطيب : - ماذا لو كانوا يقصدون شيئاً آخر ؟!

أسأل :

- مثل ماذا ؟!

يجيب :

- ماذا لو أسموه العين ، لأنه سيكون للناس مثل عين الماء ؟!

أقول وقد أعجبتني الفكرة :

- أنت عبقري ..

وأكملت :

- .. عين الماء ؟! فعلاً .. كيف لم يخطر هذا في بالي من قبل أيها المبدع ؟!

يشير إلى نفسه بحركة مسرحية ، ويرفع صوته ليقول : - (مفتاح) يتكلّم ، والشعب العربي يسكت ويتألم ، ولن تجد أحداً يرضى منّي أن يتعلّم !

- ما هذا ؟! شعارك ؟!

يقول بفخر :

- إنه (السلوجان) الخاص بي .. لن تجده عند أحد حتى لو فتشت جيوب السيد (جوجل) كلّها ، صدّقني ..

أهتف في حماس :

- دعنا نعود لعين الماء .. هل تعتقد هذا ؟!

يقول بثقة :

- طبعاً ، عين الماء .. إنه سيروي عطش الناس نحو الحقيقة ، وسيسقي تراب أراضيهم الفضولية الشبيهة بعلامات استفهام كثيرة متناثرة ..

يبهرني (مفتاح) أحياناً !

أقول له :

- أنت فظيع ، أنت فظيع ..

يبتسم دون أن يعلق ، ربما رأسه أصبح الآن بحجم ملعب لكرة القدم بسبب امتداحي إياه !

لا تغترّ يا صديقي ، أرجوك ..

أنظر للشاشة ، لا بد أنها فقرة الإعلانات الآن : هناك عدة مشاهد لرجال تضربهنّ فتيات بين أفخاذهم !

هنا يبرز سؤال في رأسي ، وللرجال فقط : لماذا عندما نرى في التلفاز مشهداً لشخص جائته ضربة عنيفة على خصيتيه ؛ نكاد نشعر بنفس الألم عندنا ؟!

لا أدري ..

أنهض ، أضع الطعام في المطبخ ، أعود إلى (مفتاح) ، أجده قد غطس في بركة النوم الخالدة ..

أطفئ الضوء ، وأنام بجانبه كطفل !

*****

-٧- كي يحلّ مشاكلي ..

ترفع (ناتاشا) رجلها وتنظر إلى الرجل الخائف بغضب : - هل تكرهنا ؟! هل تكرهنا ؟!

يرفع يديه بذعر ويقول :

- كلا .. أحبكنّ جميعاً ، أحبكنّ كلكنّ ، كلكنّ ..

لكنّ (ناتاشا) غير مستعدة لأن تسمع ، أذناها مغلقتان بالشمع الأحمر ، ومراكز الاستيعاب في مخها –بهذه اللحظة- معطلة ، والموظفون الذي يعيشون في عقلها يعانون من البطالة !

تقفز على الرجل ، يصرخ ، أصرخ ، تهرس رأسه ، وينتشر الدم في كل مكان ، ويصطبغ وجهي بلون أحمر دموي !

أنهض من نومي مفزوعاً ..

كابوس جديد هو ، كالعادة ، لكنّ (ناتاشا) هي البطلة هذه المرّة ..

لن أقول شيئاً لزوجها ، لن أقول ..

كان ما يزال نائماً ، فتحت التلفاز على نفس القناة ، وكان المذيع مرهقاً ويبدو النعاس على وجهه واضحاً .. هل هو مستيقظ منذ أمس ؟!

فاجأتني كلمة (مباشر) على يساره ، فضحكت .. نعم ، إنه مستيقظ منذ أمس !

قال :

- أكّد (جون ترافولتا) المؤرّخ الهندي الشهير ؛ أنّ الأهرامات الفرعونية قد تم بناؤها في عصر الفراعنة !

بالله جدّ ؟!

ما زالت هذه المحطة تثير إعجابي ..

أوقظ (مفتاح) ، وأحضر الساندويشات من الداخل ، ونبدأ بالأكل بكلّ نهم ..

أقول له :

- حلمت الليلة بالرجل الذي أعتقد أنّ (ناتاشا) ضربته برجلها على رأسه ..

يقول قبل أن يتناول لقمة ضخمة : - وأنا أعتقد هذا أيضاً ..

أقول :

- جيد ، إذاً يجب أن توافقني .. أظن أنه من الواجب علينا أن نأخذ هدية له ؛ إما عدة أفلام أجنبية جديدة، أو كاميرا (ويب) ليستخدمها في الدردشة ، أو (فلاش ميموري) من طراز حديث !

يسألني باستغراب :

- هل هذا هو الشكل التقليدي لهدايا المرضى عندكم؟!

- نعم ..

- لم يعد أحد يأتي للمريض بالشوكولاتة أو بباقة الورود التي ستذبل بعد يومين تلك ؟!

- كلا ، صارت هذه الهدايا (موضة) بالية على وشك الموت والانقراض ..

يبتسم ، ويقول :

- أحببت فكرة الهدايا المواكبة للعصر هذه .. هدايا تكنولوجية لو كان لي أن أطلق عليها هذا الاسم !

أفكّر قليلاً ..

ليست قوانين الهدايا التي يجب أن تتغيّر ؛ بل يجب أن يتغيّر كلّ شيء له قوانين في المستشفيات .. كلّ شيء ..

لو كان هناك شخص مسؤول عن تغيير هذه القوانين، لاقترحت عليه أن يحضر (ماعز) أو (خروف) جميل الملامح إلى غرفة العمليات ، وأن يضع صورة لكأس ماء أمام المريض المحتاج للعملية ؛ والذي حسب أوامر الطّبيب لم يشرب الماء منذ يومين كاملين .. فينشغل بصورة الماء وبصوت الخروف وهو يقول (ماء ماء) ممّا يعدّ توفيراً لإبر التخدير و(البنج) !

لو كان هناك شخص مسؤول عن تغيير هذه القوانين، لاقترحت عليه أيضاً أن نلغي (البنج) تماماً بإحضار (بودي جارد) ضخم الجثّة والعضلات ، ومحيط

خصره أكبر من المحيط الهادئ أو المحيط العصبي ؛ ونكتفي بجعله يلكم كلّ مريض (بوكس) لطيفاً خفيفاً على أنفه ، فيسقط مغشياً عليه ! وتتمّ العمليّة أو الجراحة على أكمل وجه !

لو كان هناك شخص مسؤول عن تغيير هذه القوانين، لاقترحت عليه افتتاح قسم خاص لغسيل الملابس والسيّارات و(الدّراي كلين) بجانب قسم غسيل الكلى !

لو كان هناك شخص مسؤول عن تغيير هذه القوانين ، لاقترحت عليه تأجير حجرات قلوب المرضى للأعلى ثمناً، ووضع الأسعار والتذاكر في السّوق السّوداء.. مع إعطاء هديّة لكلّ مستأجر على CD ؛ أغنية (الواد قلبه بيوجعه)!

لو كان هناك شخص مسؤول عن تغيير هذه القوانين، لاقترحت عليه إقفال المستشفيات كلها ، والاعتماد على قدرة اللّٰه وحده ؛ مع تكرار آية {وإذا مرضت فهو يشفين} عدد ٥٠٠ مرّة يومياً !

للأسف ، لا أعرف شخصاً مسؤولاً عن تغيير هذه القوانين ، ولو أردنا الحقّ ؛ لا أعرف أي شخص في أيّ مستشفى !

يقول المذيع في التلفاز : - أثبتت الدّراسات أنّ (إيطاليا) كانت تخصص في الماضي آلاف (الدونمات) من أراضي الإقطاعيين ؛ لزراعة المكرونة (الإسباجيتّي) !

هذا جميل ..

أحترم (إيطاليا) ، وأتمنى لو كنت إيطالياً !

*****

يسألني (مفتاح) :

- ما خطّتنا اليوم ؟! ماذا سنفعل ؟!

- سنخرج بعد قليل من أجل جلب (ناتاشا) من عند الشرطة ، وبعدها سأعمل قليلاً ، وفي المساء سنذهب لحضور حفلة زفاف صديقي (مرزوق) في صالة (الموت) القريبة من هنا !

- صالة أفراح واسمها (الموت) ؟!

- غريب هذا ، أليس كذلك ؟!

- طبعاً ..

أقول بحيرة :

- عندما قلت هذا للعريس قال إنّه عادي ، وطبيعي ..

يضحك ويقول :

- هو مجنون !

- من ليس مجنوناً يا (مفتاح) ؟!

نصمت قليلاً ، وينهض ليرتدي ملابسه ، وأقول له : - اسمع ..

- نعم ..

- بشأن ذاك العين !

يلتفت ويقول لي بغضب :

- لا تفكر بالأمر كثيراً ، سيأتي يا رجل خلال عدة أيام ، وسينتهي الأمر ..

- لا أستطيع أن أمنع نفسي من التفكير به ..

يزفر بقوة ، ويجلس ، ويقول : - حسناً ، ماذا هناك ؟!

- هل الأمر له علاقة بالقوى الخفية ؟!

- أي قوى تقصد ؟!

- الحسد ..

أقولها بثقة ، لكنه ينظر لي بعدم بفهم ..

أردف :

- ربما أسموه العين لأنه سيساعد الناس جداً ، وسيجعل الكل يحبه ، إلى درجة تجعل الأوغاد يحسدونه !

يسأل :

- ما الرابط العجيب ؟!

أجيبه بحماس :

- العين يا رجل ! ألا يقولون : (ضربه عين) ، أي أصابه بالحسد ؟!

يطرق رأسه لبرهة ، ثم يقول : - نعم ، صحيح ..

نصمت قليلاً ، وأتأمل عينيه الشاردتين ..

- هل هناك شيء ؟!

أسأله ، فيجيب :

- جاء في ذهني خاطر غريب نوعاً ما ..

- وهو ..

يهمس :

- ربما كان جاسوساً !

أنتفض وأهتف :

- جاسوس ؟!

يسارع بوضع يده على فمي ويقول محذراً : - تؤ تؤ ! اخفض صوتك يا (مشهور) .. لا ندري شيئاً عن الأمر بعد .. نعم ، جاسوس .. ربما كان جاسوساً قادماً من حضارة قديمة عبر ثقب زمني ، أو جاسوساً فضائياً تركه أحد سكان كوكب (أومو) أو حضارة (أطلانطيس) .. لا نعرف ..

أقول بتساؤل متفجّر :

- وما الذي جعلك تفكر فيه كجاسوس ؟!

يقول :

- اسمه طبعاً ؛ العين ..

أهتف :

- كيف ؟!

يهمس من جديد :

- ألا يقولون إن الرجل الذي يعمل مع المخابرات ، ينقل لهم الأخبار ، اسمه عين أيضاً ؟!

أكاد أقفز من مقعدي وأنا أصيح : - نعم ، نعم .. رباه يا (مفتاح) ! رباه ! كلما برزت في ذهني فكرة جديدة أو تفسير آخر ، برز في ذهنك شيء أفضل وأقرب للواقع .. أنت رائع حقاً ، لقد غيّرتك (ناتاشا) والأسكيمو .. يبدو أنني سأهاجر إلى هناك ولو بعد حين !

يقول محبطاً إياي :

- أحذيتهم غير قابلة للمسح هناك .. ستذهب كي تعمل باحثاً عن وظيفة !

أصمت ، ويصمت معي ..

يقول المذيع ، الذي يكاد أن يقع من شدّة النعاس : - أختي في الله أقترح عليكِ أن تجمعي قشور التفّاح والبرتقال والبطيخ والموز وبعض قطع الفراولة ، وأن تغسليها بماء بارد ثمّ تضعيها بترتيب هندسي فوق قطعة قماش واتركيها هكذا يومين ، وسترين بعدها أنّ قطعة القماش قد أصبحت صالحة لحياكة فستان لا مثيل له في السّوق ! فإذا لم يعجبك هذا وصار رأسك يؤلمك من المنظر ؛ اضربي الحائط برأسك سبع مرّات، وحاولي النّوم واقفة لمدّة ساعتين ؛ وسيزول الصّداع بإذن الله !

أضحك ، وأقول :

- ألا ترى ؟! لقد غيّروا منهجهم منذ الأمس ، فلم يعد الأمر مقتصراً على المعلومات والتفاصيل التاريخيّة الجادّة .. بل صاروا يكلمون النساء ، عن أمور تفيدهنّ في المنزل ..

يغمغم :

- إنها قناة رائعة ..

قالها ونهض ، ونهضت معه ..

حان الوقت كي نذهب ونحضر (ناتاشا) !

-٨- ومشاكل الآخرين أيضاً ..

كان مركز الشرطة ممتلئاً بالناس ..

حتى بعض وكالات الأنباء كانت هناك ، وعندما رآني أحد الصحفيين خارجاً من المركز مع (مفتاح) وبرفقتنا (ناتاشا)؛ اقترب منا وأمطرنا بالأسئلة : من أنتم ؟!

لماذا كنتما في الداخل ؟!

ما علاقتها بأي أمر حدث ؟!

هل كانت معهم في المظاهرة ؟!

هل ضربت أحداً ؟!

تجاهلناه ثلاثتنا ، وأكملنا طريقنا نحو واحدة من سيارات الأجرة الصفراء القريبة ..

في السيارة كلمتنا بكل حماس عن أن هذه الليلة كانت أجمل ليلة في حياتها !

يقول (مفتاح) بخجل –وهو يغمزها بعينه- ، وقد شعر أنها طعنته دون أن تدري في رجولته ، أمامي بالذات : - أجمل من ليلتنا –إحم- تلكَ ؟!

تهتف هي :

- أجمل من أيّ ليلة في حياتي !

يشعر بالانكسار ، وأقول محاولاً تغيير الموضوع : - سأوصلكما الآن إلى البيت ، وسأذهب ..

- أين ؟!

تسألني ، وأجيبها :

- عندي بعض الأعمال التي لا بدّ لي من إنجازها ..

يغمزني (مفتاح) بعينه ويقول :

- نعم ، أنجز أعمالك ، وحاول أن تطيل الغياب قليلاً ..

فهمت فوراً أنه يقصد (ناتاشا) ! يريد أن يختلي بها.. يريد أن يثبت لها أن الليالي معه أجمل من الليالي في السجون !

أبتسم وأقول :

- سأطيل الغياب ، قليلاً ، لأننا سنذهب إلى العرس الليلة كما أخبرتك يا (مفتاح) .. حاول أن تخبر (ناتاشا) بالتفاصيل بعد أن تنتهيا مما تريدان القيام به !

ألتفت إلى السائق وأقول :

- أنزلني هنا لو سمحت ..

يتوقف جانباً وأنزل من السيارة ، يطير بهما إلى البيت وأمشي أنا في بطء ..

أوقف شرطي سير وأسأله عن العين .. يحدق في وجهي بغباء ويبتعد ..

أوقف سيدة منقبة تمشي مع طفلتين محجبتين ، وأسألها عن العين بكلّ ثقة ، لكنها تنظر لي في غضب شديد وتبتعد ..

أوقف شاباً يرتدي ملابس رياضية ويضع سماعات هاتفه المحمول في أذنيه ، أسأله عن العين ، لكنّه يتجاهلني ويبتعد ..

ما هذا ؟!

أرى طفلين يتشاجران .. الأول يضرب الثاني ، والثاني يصر على إنهاء المشاجرة سلمياً !

الأول يضربه ، يلكمه ، يصفعه ، والثاني يحاول أن يقول بكلّ رصانة ووقار : - لا تدعني أمدّ يدي عليك .. صدقني ، علينا أن نحلّ خلافنا بصورة ودية !

مشكلة حقيقية أن نواجه الإساءة بالإحسان ، وأن نقف أمام الغضب بكلّ هدوء ..

لا يفلّ الحديد إلا الحديد !

لا يفلّ الجنون إلاّ الجنون !

سبق وأن اقترحت على حبيبتي أن تأخذ معها مكواة أنيقة في كلّ مرة تذهب فيها إلى الجامعة ، وأن تضعها معها في حقيبتها تحسّباً لأيّ طارئ

يحدث معها ..

دوماً أحاول إقناعها بأنّ اللغة الأولى للتعامل مع النّاس هي الضّرب ، فلا شيء أحسن من العين الحمراء للتفاهم وخصوصاً إذا كانت هذه العين هي عين الشخص المقابل!

بل إنني أزيد من تثقيفها من ناحية العنف ، بأن تستخدم هذه المكواة اللطيفة مع كلّ من يزعجها .. فإذا أغضبها أحد أساتذتها فإنّها ستستأذنه لتفتح حقيبتها وتخرج المكواة وتضربه بها على ذقنه مباشرة ! وإذا ألقى أحد الطلاّب المراهقين بتعليق ساذج فعليها أن تضربه بالمكواة على ذقنه كذلك ! وإذا (عصلج) معها أحد الأمور فإنّ الحلّ الأوّل –والأخير- هو المكواة التي لا يحلو لها إلاّ أن تلعن صحّة ذقون النّاس !

هذا الأمر سيجعل الجامعة بعد حين ؛ تبني مبنىً جديداً اسمه (عمادة ذقون الطلبة) ، وتنشئ منتدىً إلكترونياً اسمه (ذقون دوت كوم) ، وتصدر صحيفة مطبوعة اسمها (الذقون اليوم) !

الناس بشر ، لذا يجب أن نعاملهم بأسلوب حيواني .. هذا رأيي الخاص على الأقلّ ..

أمرّ على متجر يبيع كلّ الأشياء التي لها علاقة بالكمبيوتر، أشتري (فلاش ميموري) وأتوجه من جديد لمركز الشرطة.. أسأل الشرطي عن الرجل الذي في المستشفى ، آخذ العنوان وأذهب إليه مشياً ..

أدخل غرفته وأجد بعض أفراد عائلته حوله ، ينظرون إليّ باستغراب ، أضع هديتي بجانب رأسه وأقول لهم : - حمداً لله على سلامته ..

يغمغمون بكلام غير مفهوم ، ويقترب مني أحدهم ويقدم لي فنجان قهوة ..

أحتسيه على عجل ، وأنصرف بسرعة ..

أمشي في الشارع من جديد ، أسأل صيدلانياً عن العين ، أسأل إمام مسجد ، أسأل شاعراً يرتدي سترة عليها صورة (جيفارا) ، أسأل مراهقين ، أسأل فتاة ترتدي بنطال جينز ضيق جداً وشال خفيف ..

غريب ! هل تظن نفسها محجبة هكذا ما دامت أخفت شعرها الشبيه بالعهن المنفوش ؛ فقط ؟!

أقترب من أحد الباعة المتجوّلين ..

- ماذا تبيع ؟!

- كريّزة !

و(الكريّزة) حلوى لذيذة ، لا أحبّ طعمها ..

بالمناسبة ؛ عندي عدة أسئلة ليس هناك أيّ داعٍ لها ، لكنني أطرحها بحكم العادة ..

سؤال أوّل :

لماذا سميّت (الكريّزة) بهذا الاسم رغم أنّها تؤكل من قبل العاقل والمجنون (crazy) على حدّ سواء ؟!

سؤال ثانٍ :

لماذا سمّيت (الحِلبة) بهذا الاسم رغم أنّها لا تشبه حلبة المصارعة أبداً ، لا في الشكل ولا في رائحة العرق ؟!

سؤال ثالث :

لماذا سمّيت (الهريسة) بهذا الاسم رغم أنّها تؤكل سليمة ، بدون هرس ؟!

سؤال رابع :

لماذا سمّيت (التمريّة) بهذا الاسم رغم خلوّها من التّمر ومشتقّاته من بلح ورطب ؟!

سؤال خامس وأخير :

لماذا سمّيت (أصابع زينب) بهذا الاسم رغم أنّ (زينب) كانت بلا يدين عندما وُلدت ؟!

ستبقى أسئلتي هذه كوكباً يدور في فلك الضياع ، بدون إجابات ..

إلا لو أتى العين !

العين ..

هذا الكيان الغامض الأسود ..

العين ..

هذا القديم الذي سيأتي جالباً معه السعادة ..

العين ..

هذا القادم من قبل أن يكون هناك أحد !

متى سيأتي ؟!

متى سينقذنا مما نحن فيه من ضنك وعذاب ؟!

أتجول في الشوارع قليلاً ، أسأم ، أذهب للبيت ..

أفتح الباب وأدخل ، كانا نائمين ..

يقول المذيع في التلفاز ، لكنه كان مختلفاً هذه المرة : - أكّد (فرزدق الجريري) أنّ ماء البحر الأبيض المتوسّط مالح ، ويمكنه إثبات هذا نظرياً لكلّ من يشاء !

هذه معلومة جديدة ..

أغفو قليلاً ، أصحو بعد ساعة بسبب (مفتاح) .. أيقظني وهو يقول لي : - استيقظ ، استيقظ .. نريد أن نذهب إلى حفل الزفاف، صحيح ؟!

- نعم ..

- حسناً ، سنأكل ، وبعدها سنذهب ..

أفتح عينيّ بصعوبة :

- نأكل ماذا ؟!

- (ناتاشا) في المطبخ ، إنها تعدّ بعض (الملوخيّة) ..

أشعر بالسعادة :

- يا سلام ! ألذّ وجبة في العالم !

يبتسم ، وأنهض ، وأذهب إلى الحمام ..

بالمناسبة : كيف لها أن تعدّ هذه الوجبة بكل سهولة ؟

لن أستغرب ! من المؤكد أنها دخلت بعض مواقع الإنترنت لتعرف ما لا نعرفه ..

في الخارج كان المذيع ما يزال مصراً على جعلنا مثقفين: - ذكر (هيرلوك شولمز) في كتابه (طفولة نهد) ؛ إنّ العرب هم الّذين اكتشفوا البحيرة الحارّة الّتي يستخرج منها ماء النّار !

يقول (مفتاح) :

- القناة رائعة ، ولكن هذا كثير ..

- فعلاً ، كثير جداً .. أليس عندهم أخبار أخرى ؟!

أمسك بالريموت وأضع على محطة أخرى ، يظهر فيها رجل عجوز على مكتب ، وبجانبه لوحة كبيرة تمثل امرأة ضخمة ، وكان يقول : - يقال إنّه كان في زمن (الأنباط) فتاة طولها أربعة أمتار ، وكان النّاس ينادونها (عمّو) .. وكانت وحوش الغاب تشعر أمامها بالأنوثة ، وكانت تضرب ثلاثين رجلاً وتتناول خروفاً كلّ صباح ، وكانت إذا صرخت في (آسيا) يسمعها الصمّ في (أوروبّا) ، وعندما ماتت ذات يوم بسبب صرصور فاجأها في الحمّام وهي غافلة ؛ تمّ نقلها إلى قبرها على ثلاثة دفعات !

أهمس لـ (مفتاح) :

- ربما كانت هذه جدّة (ناتاشا) .. هاهاهاها !

يرمقني بغضب ..

- .. آسف ، أمزح معك فحسب يا صديقي الرائع !

أقولها وقد صار وجهي بلون مؤخرة قرد (البابون) ..

تنتهي (ناتاشا) من تحضير الطعام ، نتناوله ، نرتدي ملابسنا أنا و(مفتاح) بسرعة ، بينما انهمكت هي بوضع أدوات الزينة على وجهها ..

يقول لي :

- هل عندك بطاقة دعوة الزفاف ؟!

- نعم ، هل تريد أن تراها ؟!

- لو سمحت ..

أبحث عنها وأجدها ، أعطيه إياها ، ويبدأ بقرائة السطور التي أثارت اهتمامه :
- حسناً .. هممممم ! (نوماً هنيئاً لهواتفكم المزوّدة بكاميرات) ! جميل ، جميل .. (يرجى إحضار الأطفال بدلاً من أن يقضوا الوقت في الشّوارع) ! لطيف .. هممممم ! آه ! (قولوا لنسائكم إنّ هناك فرقاً بين الزّغاريد والأوبرا).. طيّب ، آه هذه رائعة ! (إطلاق الرصاص ممنوع ما لم أحمل الجنسية الأفغانيّة رسمياً، وبشرط توزيع خوذات مضادّة للرّصاص على المدعوّين) !

يلقي بطاقة الدعوة جانباً ، وينهض ، فزوجته انتهت من تجهيز نفسها بأفضل صورة ، وكأن هذا حفل زفافها..

يا ماما !

وجهها ملطخ بألف لون ، وكأنها دمية يابانية !

هي زوجته على كلّ حال ، وأنا لن أتدخّل بينهما .. وعلى رأي السوريين : (يصطفلوا) !

نخرج من البيت ، نتوجه إلى الحفل ، نرقص ونغني مع الذين هناك في الزفة قليلاً ، ندخل إلى الصالة ..

ملاحظة ضرورية : حاولت قدر استطاعتي أن أمشّط شعري الفظيع – استعرتُ مشط (ناتاشا)- لئلاّ يطردوننا خارج الحفل جميعاً بتهمة الـ (يع) غير العادي ! وحاولت أن أكون أنيقاً أيضاً .. بصراحة لا أدري حتى الآن كيف استطعت أن أجذ بذلة رسمية في خزانتي .. يس أوف كورس ! بذلة رسمية ،

جاكيت أسود وقميص أبيض وبنطال أسود وربطة عنق حمراء .. ألوان تقليدية جداً، ولكن لا أحد ينكر أنها كانت رائعة عندما ارتدى بطل فيلم (هيت مان) بذلة لها نفس هذه الألوان بالضبط !

نجلس أنا و(مفتاح) بجانب بعضنا ، وينضم إلينا (سعيد) الشحاذ الذي صار مليونيراً ، والرجل صاحب محل الذهب ، وولديه ، وبعض الأشخاص الآخرين الذين أعرفهم بالاسم فقط ، وتقتصر علاقتنا على (كيف حالك) و (بخير) !

نتكلم ، نضحك ، نأكل (جاتوه) شبيهاً بالإسفنج ، نشرب (بيبسي) وكأنه معتق منذ مائة عام ..

يقترب أحدهم ويسألني :

- هل أنت صديق (مرزوق) منذ زمن بعيد ؟!

- جداً ..

- ماذا تعرف عنه ؟!

أسعل وأقول :

- بصراحة ؛ (مرزوق) شاب رائع جداً ، لم أر في حياتي حيواناً أجمل منه .. صفاته مذهلة وبالذّات الكذب وكثرة الدّيون والقيادة عكس السير .. يأخذ في الشّهر سبعمائة دينار ناقص خمسمائة .. مستقيم وخلوق ، لا يعرف إلاّ الخمر وصواريخ الحشيش والسّهر مع النساء ، ونوادي القمار والدّعارة طبعاً !

يحمرّ وجه الرجل ، يضغط على شفتيه ، يقول لي : - شكراً ..

يبتعد ، وأميل نحو أحد الجالسين وأسأل :

- من هذا ؟!

يجيبني ويرفع ضغطي :

- شقيق العروس !

يطمئنني (مفتاح) أنه لن يحدث شيء سيّء ، وأنه لا داعي للقلق أبداً .. أحاول تجاهل الأمر ..

يقترب مني (سعيد) ، نتكلم قليلاً ثم يسأل :

- هل تريد أن تتزوّج ، أم لا ؟!

- لا ..

يعدل جلسته ويقول :

- حسناً ، أنا أريد أن أتزوّج .. هل تعرف أحداً ؟!

لماذا (سعيد) يسألني أنا بالذات ؟ هل أخبره أحد أنني (خاطبة) مثلاً ؟

أقول له :

- أنت مليونير .. تستطيع أن تتزوج أي أحد !

- كلا .. أنا مليونير ، لكنّني لا أعرف شيئاً في حياتي سوى الأموال .. فقط الأموال ، وأريد مساعدتك بالبحث عن زوجة !

- فلنفرض أنني وجدت لك واحدة ، ماذا سأخبرها عنك؟!

يقول :

- الحقيقة الوحيدة التي يجب أن تعرفها عني هي أنّني متواضع بشكل عنيف ، ولا أتكبّر على النّاس أبداً.. والحقيقة الوحيدة الأخرى هي أنّ شعاري دوماً هو التّرحيب بالبشر، وأهلاً وسهلاً وجبلاً .. والحقيقة الوحيدة الأخرى هي أنّني ممتاز جداً في الملاحظة والانتباه والمدرسة والكليّة والجامعة وعقبال التخرّج ، كما أنني ممتع في السرير ، وعندي أموال كثيرة جداً لا أعرف ما أفعل بها ، وعندي قصر في (جبل عمان) ..

وسكت وأردف :

- .. باختصار يا (مشهور) ؛ أنا عريس ممتاز ، ولست مثلك ومثل أولئك الذين يعملون في جمعيّة البحث عن عمل .. فإن وجدتَ لي فتاة ستسمع كلامي وتقدّره وتحترمه وتجعله يدخل دماغها بأفضل وأحسن أسلوب؛ سأكون شاكراً لجهودك حتّى آخر حدّ ، وسأعطيك مائة دولار !

أفكر بالأمر ، تبدو صفقة رابحة بالنسبة لي ..

- سأحاول ..

أقولها ، وألتفت إلى (مفتاح) وأنا أفكر فيما قاله ..

قصر في (جبل عمان) ؟

يقال أنّ (جبل عمّان) كان يسمّى (جبل الذّهب) في الزّمن الغابر ومنذ أيّام امرؤ القيس .. وأنّه كان الشعراء يجتمعون فيه وينشدون الشّعر ، فتبدأ الأرض بإخراج كنوزها دلالة على استمتاعها بالمعلّقات والملاحم .. لكنّ الحروب المتتالية والتنبّؤات المستقبليّة أغضبت ملوك الجنّ في هذا الجبل فحوّلوا الّذهب الّذي فيه إلى أحجار.. وكان هناك غول كبير يخاف كثيراً لأنّ أحد الشّعراء حاول مرّة أن يمسكه وأن يبيعه بالجملة إلى حديقة الحيوان؛ مما جعله يحقد على المنطقة كلّها بل ويتوعّد أن يحتلّ جسد كلّ حكومة تقود هذه المكان !

هممممممم ! لهذا أشعر دوماً أن حكومتنا لن تستقيم أبداً ، إلا بعد قراءة الكثير من سور القرآن ، ونشر البخور في كل مقعد، وعمل الكثير من طقوس طرد الجن والشياطين !

نتكلم أنا و (مفتاح) قليلاً عن الحفل ، قبل أن يمرّ بجانبنا شخص ضخم الجثة جداً .. ألقى السلام علينا بصوت جهوري للغاية ، مزعج للغاية ، مرتفع للغاية ، قبل أن يكمل طريقه بعيداً ، متحاشياً أن ينظر في عيون أي واحد منا ..

يقول لي (مفتاح) وهو يبتسم :

- ما هذا بالضبط ؟ لماذا ألقى السلام بهذه الطريقة ؟ ولماذا شعرت أنه يتحاشاك ؟

أبتسم بكبرياء :

- هذا (رضا) .. مرة كان يتكلّم معي بصوته الصّاخب المنبعث من جواب قرار نهاوند السّيكا طالباً منّي حواراً هادئاً .. فلم أحتمل إزعاجه وعاجلته بلكمة عنيفة على صدغه جعلته يقول إنّ اللّٰه حقّ بل صار يدور حول نفسه مردّداً الأذان كاملاً .. نهضنا بعدها وكلّ واحد يطلب من الآخر أن يحاوره بطريقة هادئة .. وبدأنا بالشّجار والقتال والضّرب والتّحطيم محاولين الوصول إلى حلّ سلمي نرتضيه ، ولم تبق تحفة أو أو جرّة عتيقة أو برواز مذهب في المكان كلّه إلاّ وصارت كالعهن المنفوش .. ولا ندري مَن مِن الحاضرين استلّ موبايله من غمد جيبه ونحن وسط المشاجرة -عفواً الحوار- ووضع لنا أغنية (بابا فين بابا هنا هنا هو أولّو مين أولّو عمو عمو مين أأولّو مين بكلمه) من باب إرجاعنا للطفولة وإخماد العنف .. لكنّنا رغم هذا لم نتوقّف بل بقينا بمحاولاتنا الهادئة للإقناع والاقتناع ؛ دون جدوى .. وفي النهاية فقدنا وعينا نحن الاثنين بسبب التعب والدماء !

- دماء ؟

- نعم .. كان حواراً هادئاً جداً ..

نضحك معاً ، وتمر بعض الدقائق التي نظرنا فيها إلى المدعوين وإلى ملابسهم وموبايلاتهم وأشكالهم .. قبل أن أقول له : - اليوم فكرت بالموضوع من جديد ..

يقول في ضيق :

- العين ؟!

- نعم ..

يقول بنفاد صبر :

- هات ما عندك ..

أقول محاولاً ألا يسمعنا أحد :

- ماذا لو كان شخصاً مهماً ، يعيش معنا ، وينتظر اللحظة المناسبة للظهور ؟!

- كيف ؟!

أقول محدقاً في عينيه مباشرة :

- ماذا لو كان عيناً في مجلس الأعيان ، ومع الدولة ؟!

يصمت وينظر إليّ في انبهار ، ويقول :

- وتقول إنّي مبدع ؟! انظر إلى نفسك وإلى هذا الاستنتاج والتحليل .. فعلاً ، هذا ممكن ومنطقي جداً .. منصبه هذا سيؤهله لأن يعرف الكثير من الأسرار ، والأبواب، والكنوز، وربما كان هذا سبب معرفته بالطرق التي سيساعد فيها الناس ..

أقول :

- نعم ..

يقترب منا والد (مرزوق) فجأة ، ننهض ونصافحه ونقبّله ، ثم نجلس من جديد ..

يقول (مفتاح) :

- ربما لم ننتبه إلى نقطة أخرى يا (مشهور) ..

أسأل بلهفة :

- وهي ؟!

- ماذا لو كان اسمه يبدأ بحرف العين ؟!

ما أغبانا !

يا ألله ؛ ما أغبانا !

كان الجواب واضحاً أمام أعيننا منذ البداية ، أسموه العين لأنّ اسمه يبدأ بحرف العين ..

لا يوجد تفسير آخر ..

أقول :

- بالضبط ، هذا صحيح .. ربما كان اسمه (عامر) أو (عادل) أو (عاهد) ..

يقول :

- ربما (عبير) أو (علياء) أو (عايدة) ..

أقول :

- ربما (عصفور) أو (عندليب) أو (عقاب) !

يقول لي :

- ربما ، المهم أننا سنعرف غداً ..

يباغتني الموعد ، وأسأل :

- غداً ؟!

أحدق في وجهه بكلّ ذهول ..

هو يكذب حتماً !

يقول لي بكل بساطة :

- كلا ، غداً هو الموعد .. سنذهب في الصباح إلى المكان الذي يفترض منه أن يظهر فيه ، وسنراه ، ونعرف منه كلّ شيء ..

أتنفس بسرعة ..

هوف هوف هوف هوف !

هذا كثير ، أشعر أن في صدري عشرات الطبول الإفريقية..

يقول لي :

- سأتصل الآن بـ (ناتاشا) كي نعود إلى البيت ..

أهزّ رأسي موافقاً إياه دون أن أتكلّم ..

غداً ..

غداً هو الموعد ..

غداً نرى العين ، ونلتقي به ..

غداً سأتصور (سيلفي) معه ، وأضع صورتنا في فيسبوك، على حائط (كارول) ، كي تفتخر بي بين صديقاتها ..

اشتقتها ، شبيهة (بينلوبي كروز) تلك ، والتي تشعرني في كثير من الأحيان أنني الرجل الخفي ، شخصياً ..

لا يهمّ ، يكفيني أنها تخفق في سماء صدري !

نخرج أنا و(مفتاح) ونلتقي مع (ناتاشا) ، نركب في تاكسي ونعود إلى البيت ..

لا أدري لماذا تخيلت أن القطة السوداء الحبلى ابتسمت لي ، ربما بسبب التوتر الذي يعيشه كلّ جسدي في هذه اللحظة !

ترى هل كانت نحيفة ؟!

ربما أنجبت اليوم ، ربما ..

هنيئاً لها على كلّ حال ..

نغير ملابسنا ، وندخل كي ننام ؛ بدون إزعاج ، بدون مذيع ، بدون محطة ثقافية مملة ، بدون أخبار لا تسمن ولا تغني من جوع ، والأهمّ : بدون أي إبطاء !

وما أن وضعنا رؤوسنا كي ننام ؛ وإذا برنة هاتفي تنطلق فجأة لتلغي السكون وتصنع الإزعاج ..

من هذا الحيوان الذي يتصل بي في هذه الساعة ؟

الرقم لا أعرفه !

أستأذن من (ناتاشا) و (مفتاح) الغارقين في النعاس ، وأخرج ، وأضغط زر الإجابة وأقول : - من أنت ؟

ليأتيني الصوت الذي أنتظر سماعه منذ فترة طويلة ، منذ أيام وأسابيع وشهور وسنوات وقرون ، بالنسبة لي على الأقل : - أنا (كارول) يا (مشهور) !

*****

٩-- لكنّه ...

الجميلة (كارول) ..

الحبيبة (كارول) ..

ملكة المطر والريح (كارول) ..

هل أشعر وحدي بهذا الحر الشديد ، أم أن الشمس فجأة قررت زيارتنا في الليل ، كي تحرقنا أكثر ؟

الجوّ حار للغاية .. أتخيّل –لوهلة- لو أنّ مصانع المكيّفات تبيع ملابس للتكييف بحيث أنّ لابسها لن يشعر في هذا الجوّ بالحرارة بل بالبرد .. أتخيّل لو أنّ هناك (فرشات) أرضيّة اسفنجية مملوءة بالماء بحيث يمكننا النّوم فوقها ويمكنها هي أيضاً أن تعطي أجسادنا نكهة الشتاء الحقيقية الممتعة .. أتخيّل كذلك لو أنّ هناك برك سباحة فاترة تُباع (فرط) وبتكنولوجيا مذهلة بحيث يمكننا حملها معنا في جيوبنا أينما ذهبنا ، حتّى إذا شعرنا بردائة الطقس أخرجنا بركة السّباحة هذه ومدّدناها وسبحنا فيها كيفما شئنا !

- .. إحم ! هل أنت معي يا (مشهور) ؟

يأتيني صوتها مجدداً ، وأقول متلعثماً : - هل هذه هي أنت فعلاً ، يا (كارول) ؟

تضحك ، وتقول لي :

- نعم ، هي أنا .. لا تنسى أنك أعطيتني رقم هاتفك مرة لعلّي أتصل بك يوماً ، وها أنا أتصل بك اليوم .. كان لا بدّ من هذا الاتصال ..

أشعر بقلق ، هل ستنهي علاقتنا ؟

هل ستمسحُ كل شيء بورقة كلينيكس من وهم ، وتلقي بي ثم بها نحو سلة مهملات شنيعة مصنوعة من واقع ؟

هل سيتحول هذا الحر الشديد إلى صقيع مباغت ؟

تخيّل معي لو أنّ هناك دكاكين خاصّة لبيع الشّموس في (باكيتات) .. تدخل إلى المحلّ وتعطيه خمسة دنانير ليعطيك شمساً صغيرة .. فتأتي أنت لتخرجها من علبتها في حذر لئلا تحرق أصابعك ، وتضعها أمامك تحت المطر لتدفئك .. فإذا انتهت ووجدت نفسك ما زلت تعاني من البرد ذهبت واشتريت (ميني شمس) ، وطبعاً هذه شمس في علبة عصير .. تضع فيها (شلمونة) بيضاء مقلّمة بالأحمر وتبدأ في شربها .. مما يساهم في إشعال جوفك ومدّ جسدك بالتدفئة اللازمة والاحتراق المطلوب في هذا الجوّ !

أقول بتوتّر :

- ماذا هناك يا (كارول) ؟

- ماذا هناك ؟ ألا تريد أن نلتقي ؟

- ماذا ؟ الآن ؟

- نعم .. الآن !

يرقص قلبي السالسا والتانجو ويهز خصره كمحترفة في ملهى ليليّ .. ما هذه السعادة التي أشعر بها تتدفّق في عروقي ؟

أسألها بكل لهفة الدنيا :

- أين ؟ ومتى ؟

تجيبني :

- بعد نصف ساعة ، قرب باب البناية التي تسكن فيها !

أسأل بدهشة :

- باب بنايتي ؟ هل تعرفين أين أسكن ؟

لا شك أنها ابتسمت بغموض وهي تجيبني :

- سيدهشك كمّ الأشياء التي أعرفها .. باي !

وأنهت المكالمة ..

*****

لثوانٍ ، بقيت ساكناً كصنم ؛ لو رآه أحد الدواعش لقام بهدمه دون ذرة تفكير ، كالعادة !

أنهض من مكاني ، لا شكّ أن (مفتاح) و (ناتاشا) سيكونان في غاية السعادة عندما أخبرهما غداً عن (كارول) ..

ماذا سأرتدي ؟ ماذا سأرتدي يا ناس ؟

كما هو متوقع ؛ لم يهدني تفكيري إلا للحل الأفضل على الإطلاق : ملابس (هيت مان) ! البذلة الرسمية التقليدية التي ذهبت فيها إلى حفلة زفاف (مرزوق) اليوم!

أرتدي البذلة ، أضع قليلاً من عطر (مفتاح) الذي بات الآن يستعمل عطوراً عالمية ، أخرج من البيت ، أقف قرب باب البناية وأنا أدندنُ لحناً من اختراعي ..

لو كنت في فيلم عربي الآن لكانت هناك موسيقى عربية موحية وقديمة ، ولو كنت في فيلم أجنبي لكان هناك بعض المطر مع موسيقى صادرة عن جيتار رائع ..

بالمناسبة ؛ رأينا جميعاً تلك الحلقات الكوميديّة من سلسلة قناة (ميلوزي أفلام) ، والّتي تحاول طوال الوقت إقناعنا أنّ الأفلام العربية أحسن من الأجنبيّة و (أمّ الأجنبي) بكلّ بساطة وكأن أحداً لم يفهم الإيحاء البذيء، ورأينا ذلك المدير السّادي وذلك المعاون المسكين وعبارتي (إرسم يا فرّان) و(أيوة كده يا بديع) الشّهيرتين السخيفتين .. لكنّ الحقيقة المرّة في هذه الإعلانات أنّها تستخفّ بعقلك جداً ؛ فالكلّ يعرف أنّ هناك بعض الأفلام الأجنبيّة الّتي تعادل الأفلام العربيّة كلّها ! ولذلك أقترح –من باب المصداقية فقط- أن تغيّر القناة شعار إعلاناتها إلى (أفلام أجنبي .. أمّ العربي) !

أفرك يديّ ببعضهما ، أخيراً سأراها ..

أخيراً سأرى (كارول) !

ترى هل تشبه (كاميرون دياز) و (بينلوبي كروز) و (سكارليت جوهانسون) و (تشارليز ثيرون) كما تخيلتها ؟ أم أنها –لا سمح الله- نسخة عن (ريا) أو (سكينة) ؟

لماذا كلمتني اليوم بالذات ؟

لماذا تريد مقابلتي الآن وفي هذا الوقت ؟

كيف تعرف بنايتي ؟ ولماذا لم أسمع صوتها قبل هذا اليوم ؟

لا أعرف ..

فجأة سمعت اسمي ، وسمعت صوتها الرائق من خلفي: - (مشهور) ..

والتفت بجسدي كله نحوها ، و ..

كانت المفاجأة !

ملكة المطر والريح (كارول) ، حبيبتي ، معشوقتي الإلكترونية التي منذ وقت طويل أحادثها وأحاكيها ؛ هي جارتي الفاتنة ، التي تسكن معي بنفس البناية !

(كارول) هي (كاليسي) ، ابنة المهندس (جلال) ، الذي يعمل في إحدى الشركات الهندسية ، تحت قيادة شاب وسيم يكتب الشعر ، اسمه (عماد برهان) ، أخبرني عنه المهندس (جلال) مرة إنه ذات يوم أحب فتاة متزوجة ،

لم يقل لأحد عنها أي شيء ، ولا حتى اسمها ، وخصوصاً أن علاقتهما كانت (مستحيلة) ، وانتهت بالفراق !

(كارول) هي (كاليسي) ، التي عرفنا عنها أنها من أم روسية غائبة لا تظهر ، والتي لطالما استغربت –أنا شخصياً- من اسمها ، وخصوصاً أن كلمة (كاليسي) لم يعرفها الناس إلا بعد مسلسل (لعبة العروش) الشهير، وبطلته (كاليسي) أم التنانين ، ذات الشعر الأبيض والصرامة الأنثوية الهادئة!

(كارول) هي (كاليسي) ، الفاتنة ، التي سعى الكثير من الشباب في المنطقة للكلام معها ولفت أنظارها ، ولكنها دوماً كانت أقوى منهم ، بابتسامتها وهدوئها .. (كاليسي) التي لأنني أحب (كارول) ؛ كنت دوماً أغض البصر عنها !

(كارول) هي (كاليسي) .. (كاليسي) هي (كارول) ، وهي تقف أمامي الآن ، وتبتسم بوجهي !

رباه ! ما أجملكِ !

أتجمد مكاني وأنا أنظرُ في عينيها مباشرة إلى درجة أنها خفضتهما في الأرض .. أقول : - (كاليسي) ..

ترفع عينيها وتقول :

- أكره هذا الاسم .. أنا (كارول) يا (مشهور) !

أن تسمع اسمك من بين شفاه حبيبتك ، سيجعلك هذا سعيداً كخنزير بري في وحل ، على رأي الدكتور (أحمد خالد توفيق) !

أقترب منها وأنا أحدق في وجهها ، في عينيها ، في شعرها المتطاير ، أمسك يديها وأقبّلهما وأنا لا أكاد أصدق نفسي.. الغريب ؛ أنه يأتي في بالي الآن أن آكل ! لا لشيء إلاّ لكي أشبع بعدها ، فأستفرغ ، لأرى منظر الأكل المرتجع على الأرض ، فأخاف ، فأبكي ؛ لأنّ البكاء يريح العشاق كما تعرفون ، وهذا هو هدفي منذ البداية !

نتمشى قليلاً وقد لفنا الصمت ، هي تنظر في الأرض ، وأنا أنظر إليها ..

- (كارول) ..

- نعم ..

- كيف كنت معي في نفس البناية كل هذا الوقت ؟ ولماذا لم تقولي لي من أنتِ قبل هذا اليوم ؟

تتنهد بقوة :

- كان لا بدّ لي من هذه الخطوة يا (مشهور) كي أتأكّد من مشاعرك .. قلت لك إنك أستاذ فيزياء وأنا أعرف أنك رجل تمسح الأحذية !

- وأكرهها أيضاً !

- ماذا ؟

- أكره الأحذية .. أنا رجل يكره الأحذية ! أكره الأحذية بكل ألوانها وأشكالها وأحجامها ، وخصوصاً أنني أعمم هذه الكلمة على أشياء كثيرة ، وليس على ما ننتعله في أقدامنا فحسب !

تضحك ويضحكُ معها قلبي :

- أنت فيلسوف أيضاً ؟ لم أتوقع هذا ..

نمشي دون هدف ، وصوت حفيف الهواء الخفيف يصنع خلفية موسيقية لا بأس بها ..

أسألها :

- أخبريني عنك بعض الأشياء ، ماذا درستِ في الجامعة على سبيل المثال ؟

- درست الأدب الانجليزي ، وكنت أظنّ هذا رائعاً، لكنّ المشكلة أن بعد التخرج سيظنّ الجميع أنك عبقري ونسخة أجنبيّة تمّ تعريبها .. يعتقدون أنّك صرت تحفظ المورد وقواميس الجيب والمفردات والقواعد كلّها .. يعرضون عليك نشرات الأدوية ويطلبون منك أن تترجم ما تسمعه مباشرة في نشرات الأخبار والأفلام الإنجليزيّة؛ جاهلين أنّ ما درسته هو الأدب الإنجليزي وليس (قواميس الحياة والفكر والدنيا والعوالم العالمية الدولية الإنجليزيّة الكاملة) !

أضحك ، وأقول :

- لست وحدي الفيلسوف هنا كما أرى ..

تنظر لي بطريقة خلعت قلبي من مكانه ، ونكمل سيرنا ..

أسألها بغتة :

- لماذا أنا يا (كارول) ؟

- ماذا ؟

- لماذا اخترتني أنا من بين الجميع لتكلميني هكذا ، عن طريق الفيسبوك ؟

تتنهد وتقول :

- لا أعرف ! شعرت أن فيك شيئاً مميزاً ، أنك مختلف عن الآخرين ولا تشبههم .. كذبت علي وأخبرتني إنك دكتور فيزياء بينما أنت تمسح الأحذية ولكن هذا لم يكن ليشكل عائقاً .. قرأت بعض ما تكتب وشاهدتك بكثير من المواقف وأعجبتني جداً ، ولهذا أجلت لقائي بك حتى اليوم ..

أسألها محاولاً دفع الحرج عن صوتي وأنا أنظر في ساعة يدي : - لقد تجاوز الوقت منتصف الليل بساعة على الأقل ، أين والدك عنك ؟

أفكّر : بما أنّ هناك ساعات يد تعمل بالإضاءة والنّور، وهناك ساعات يد تعمل بنبض المعصم ، فلماذا لا يخترع لنا العلماء أجهزة كهربائيّة تعمل بطاقة الحبّ ؟ أي أنّني سأكون مع زوجتي في البيت، وستكون كلّ الأجهزة الكهربائيّة تعمل في نفس الوقت لشدّة الحبّ الذي بيننا والّذي حتماً وبالضّرورة سيشغّلها ، ولن نضطرّ لتحمّل إزعاج شركة الكهرباء بما أنّ لذّة عشقنا ستكون المولّد الأوّل لهذه الإلكترونات والنيوترونات !

أما إذا أردنا أن نطفئ أيّ جهاز من الأجهزة المشتعلة ليس علينا سوى القيام بمشاجرة لطيفة أنيقة صغيرة فحسب !

تجيبني :

- أنا أعيش وحدي هذه الأيام ..

أقول بدهشة ممزوجة باستغراب :

- ماذا ؟

- أعيش وحدي في الشقة هذه الأيام ، والدي مسافر منذ شهرين تقريباً خارج البلاد ، للعلاج من أمراض القلب الكثيرة التي عنده للأسف ..

آها ! لا بدّ أن والدها خاف على نفسه بعد موت جارنا (أيمن الغنمة) ، وهو الرجل المتشدد دينياً ، الغبي الذي كنت أكرهه وأمقت اسمه المضحك ، والذي كان يرى أنه المسلم الوحيد وأنه الوحيد الذي سيدخل الجنة بدون شكّ !

لم أكن راغباً بموت (أيمن) هذا ، بل على العكس ؛ تمنّيت لو أنّ هناك بنكاً للأعضاء ، مع عروض استهلاكيّة توفيريّة تفيد جميع الزّبائن .. تخيّلت لو أنّ هناك متاجر لبيع قطع الغيار البشريّة في كلّ مكان .. تخيّلت لو أنّ هذا المكان حقيقيّ فسيخدم الكثيرين لغايات طبيّة أو تجميليّة .. وسيجد المشتري أنواعاً كثيرة من الأيادي والسّيقان والأرجل والصّدور والأفخاذ لتبديلها .. وسيجد جميع الأحجام وألوان البشرة والجلد الّتي يرغب بها بما يناسب جسده وقدرته الماديّة وذوقه العام .. وربّما كان هناك عروض مثل (تخفيضات على أصابع الرّجلين) أو (الأثداء عليك والحليب علينا) أو (اشتري شفتين واحصل على قبلة مجّاناً) !

لم أكن أرغب أن يموت من أمراض القلب ، بل من الاستفزاز ! كنت أعشق استفزازه جداً ، هو وزوجته (هند خلايف) التي يخبرك اسمها أنها مجرد مريضة نفسية أخرى ، وبالذات مع هوسها المرضي بالألوان ، والتي كانت تجعلها مثل إعلان غير مدفوع ولا مرضي عنه ، ولا تقبل به أدنى شركة دهانات ذات مسؤولية غير محدودة !

أتوقف فجأة وأمسك (كارول) من كتفيها وأديرها نحوي بصورة أثارت دهشتها حتماً : - (كارول) .. لماذا اليوم ؟ لماذا قلت لي عنك اليوم ؟

أشارت إلى كافيه قريب وإلى الكراسي التي هناك ، أبتسم متفهماً ، لحسن الحظ لا أحد هناك ، ندخل ونلقي التحية على الشاب الذي ينظف الأرض ، نجلس على مقعدين متقابلين ، وأنظر في وجهها منتظراً الجواب ..

تنظر في وجهها وتقول :

- لماذا سأقول كل شيء وحدي ؟ قل لي عنك بعض الأشياء حتى أطمئن أكثر ..

أبتسم :

- ما الذي تريدين معرفته ؟

تبتسم :

- كل شيء ..

أتنهد ، وأطلب قهوة لي ولها من الشاب ، وأنا أفكر بسرعة وقد أخذتني الخواطر من واقعي كالعادة : ما هذا الإسراف غير العادي الذي قمت بارتكابه اليوم وأمس ؟

رغم حالتي التي يرثى لها ، ورغم كل شيء أعيشه : قمت بطلب أرجيلة اليوم ، وقهوة ، و(فلاش ميموري) لضحية (ناتاشا)، وها أنا أطلب قهوة مرة أخرى مع (كارول) !

الشكر أولاً وأخيراً لذلك الذي يظن نفسه كاتباً ، والذي أعطاني مبلغاً ضخماً ، ربما لأنني مدحته قليلاً ..

من فضل الله عليّ أن البيت الذي أعيش فيه ؛ ملك لي !

نعم ، ألم أقل هذا قبل الآن ؟

البيت ، تركه لي أبي الذي لا أدري أين ذهب ، وغادرته مباشرة أمي وتزوجت رجلاً لا أعرف من هو .. وها أنا وحدي في البيت ، مع بذلة (هيت مان) التي جائتنى مرة هدية من أحد الأصدقاء الذين نسيتهم ..

فجأة قالت (كارول) وقد طرقعت بأصابعها أمام وجهي: - هيه ! ألن تقول شيئاً ؟

أبتسم وأقول :

- بلى ، سأقول ..

وبدأت بالحديث ..

لم أترك شيئاً إلا وقلته لها !

عني وعن عملي ، عن تفكيري ودراستي وطموحاتي ، عن فشلي في الحياة وفلسفتي نحو الأمور .. أخبرتها عن (مفتاح) و(ناتاشا) وحتى عن (سعيد) و (مرزوق) أيضاً ، وفي النهاية لم أجد حرجاً من أن أقول لها عن العين !

نظرت إلى وجهي بذهول :

- العين ؟

أنظر إليها في شك :

- لحظة ! لا تقولي أنك تعرفين من هو العين !

- بلى .. الشخص الذي سيظهر غداً وبيده حلول كل شيء ، والذي سيجلب السلام والطمأنينة للعالم كله ، فرداً فرداً !

يا إلهي !

كيف تعرفين يا (كارول) ؟

أسألها :

- كيف تعرفين ؟

تقول بحماس :

- وهل تظن أمره سرياً حتى هذا الحد ؟ إنني أنتظر حضوره منذ سنوات ، أنتظر أن يأتي لأنه سيجلب معه السعادة ، والحب ، والحياة الجميلة ، للجميع ..

أسألها سؤالاً غبياً :

- ولماذا تريدين حضوره حتى هذا الحد ؟ والدك موجود ، وأنت من عائلة ثرية ، ولا بد أنك أكملت تعليمك الدراسي ، ولا شك عندي أن حياتك رائعة .. لماذا تنتظرينه هكذا ؟

قالت :

- لأجل هذا بالذات قمت بتأجيل لقائي معك حتى اليوم !

أتراجع بمقعدي وأسأل :

- حقاً ؟

- نعم ، لا شكّ أن حضوره سيبارك كل شيء لنا معاً ..

أبتسم ، وأحدق في عينيها قليلاً ..

تخجل وتنظر في الأرض :

- هل تحبني يا (مشهور) ؟

أتأملها للحظات ، وأصرخ فجأة :

- جداااااااااااااااااااااااااااااااااااااً !

لوهلة تخيلت أنني (أحمد السقا) في (أفريكانو) ، عندما قفز من الشلال وهو يصرخ (بحبك) للجميلة (منى زكي) !

تضحك وتلكزني بكتفي ، فأبتسم أكثر ..

تمر دقيقة من الصمت ، قطعته هي بقولها ونهوضها : - لا بدّ أن أذهب ..

أنهض معها :

- لكنك تسكنين وحدك ، من سيفتقدك الآن ؟

- لا بد أن أستحمّ ، وأن أجهز نفسي للغد ، لا تنسى أن الوقت متأخر الآن ، وعلينا أن نكون أول الواصلين غداً ..

أغمغم بضيق :

- حسناً ، لا بأس ..

تضع باطن يدها اليمنى على خدي وتقول :

- لا تقلق ، لقد كشفت لك هويتي ، ومهما كان الأمر غداً : أنا معك ، أنا لك .. حسناً ؟

أبتسم :

- حسناً ..

تميل عليّ وتقبل خدّي الآخر ، يرتفع الدم إلى رأسي وأشعر للحظة أنني انتقلت – حرفياً وزمكانياً- إلى الجنة !

تقول لي :

- أراك غداً ، تصبح على خير ..

تختفي من أمامي ، وأبقى لوحدي في الليل ، في الكافيه ، أنظر لها وهي تغيب ، ويبتلعها الظلام ..

أجر جسدي نحو البيت ، أدخل وأدسّ نفسي في الفراش بجانب (مفتاح) و (ناتاشا) ، وأنام ، وليس هناك في رأسي سوى فكرة واحدة شديدة الوضوح : في هذه اللحظة أنا أسعد رجل في العالم !

*****

١٠-- كان ...

جاء الصباح بعد أن ظللت عدة ساعات أتقلب في الفراش المزدحم كالمحموم ..

استيقظنا ، أفطرنا بسرعة ، وجلسنا ننتظر الوقت الأنسب كي نخرج من البيت ..

أخبرهم عن لقائي بالأمس مع (كارول) ، وعن مشاعري، وعن وعدها لي ، وعن أننا سنتقابل اليوم ونذهب معاً لرؤية العين.. يهنئني (مفتاح) ، وتربت (ناتاشا) على كتفي..

رغم هذا ، هناك جو من التوتر الذي لا بأس به !

يشعل (مفتاح) سيجارة ، ويدخّن .. فأسأله : - منذ متى ؟!

- منذ الآن ..

- لستُ وحدي الذي أشعر بتوتر إذاً ؛ أليس كذلك ؟!

لا يجيبني ، بل يكتفي بسحب الدخان ، ونفثه ، ومزيد من السحب ، ومزيد من النفث ..

يقول لي :

- إنها الشيء الوحيد الذي يحرق نفسه من أجلك !

لم يكد يتمّ قول هذه العبارة المستهلكة السخيفة ، حتى سقط شيء من جمر السيجارة على بنطاله !

الثقب واضح ، ومضحك ..

غضب ، وسبّ ، وشتم ، وأنا و(ناتاشا) نبتسم في سخرية..

أقول له :

- واحدة بواحدة ! أنت أحرقتها من أجلك فقامت هي بإحراقك أيضاً .. لا تغضب !

ينهض ويغير بنطاله أمامنا دون خجل ، ببنطال جديد نظيف غير مثقوب ..

أشغل له من هاتفي أغنية تقول :

«وبحب الناس الرايئة اللي بتدحك على طول ، أما العالم المتدايئة فلا لأة ماليش في دول» !

يبتسم قليلاً ، تهدأ أعصابه ، وتساهم (ناتاشا) معي بهذا أيضاً ..

هي زوجته أولاً وأخيراً ؛ حتى لو أن حجمها أصغر بقليل من حجم (أوبتيموس برايم) من فيلم (ترانسفورمرز) !

أقول فاتحاً الموضوع من جديد :

- ماذا لو كان طبيب عيون ؟!

- العين ..

- نعم ؟! ماذا لو كان مختصاً في عمليات الليزر والليزك وما شابهها ؟!

- محتمل ..

أقول :

- ماذا لو كان مغنياً وله مقطع يبدأ بكلمة (عيني عليك) أو (من جمال عيونك) أو (عيناكِ) ؟!

- ربما ..

- ماذا لو كان طباخاً ، ويطهو الطعام بطريقة تجعل أي شخص يأكله يصيح بـ (يا ليل يا عين) ؟!

- هل تظنه الشيف (رمزي) أو (منال العالم) ؟!

- هههههههه ! أنا أسأل فقط ..

يربت (مفتاح) على كتفي ، ويقول لي :

- لا يجب أن تسأل ..

أنظر إلى عينيه ، ولا أسأل عن السبب ، فأنا أعرفه ..

لا يجب أن أسأل ، لأننا بعد قليل سنراه ..

بعد قليل ، سنعرف كلّ شيء ..

سنعرف الحقيقة ..

سنعرف الإجابات ..

سندرك ما لم نكن ندركه من قبل ..

سيأخذنا من العتمة إلى النور ..

سيكون الشمس التي تبدد لنا العتمة والظلام ..

بعد قليل ..

كلّ هذا بعد قليل ..

عليّ أن أتحلّى بالصبر فحسب !

يقول (مفتاح) :

- الأموال هي مشكلة العصر ..

أقول :

- طبعاً ، لا بدّ أن يعطينا أيضاً كلّ الطرق اللازمة لجلب الأموال بأسرع وأسهل الوسائل ..

يوافقني (مفتاح) بقوله :

- لا بدّ ..

أقول له ولزوجته :

- مرّة عرفت أنّ أحد أصدقائي يملك شجرة نقود في منزله..

- شجرة نقود ؟!

- نعم ؛ شجرة نقود .. لم أصدّقه عندما بدأ يقسم أنّه يزرع العملات المعدنية مهما كانت قيمتها في حديقته ويسقيها بالماء المخلوط بالخميرة ، ليأتي في اليوم التّالي وقد ظهر غصن من الأرض وعليه بعض العملات ، فيقطفها ويضعها في محفظته ويذهب إلى أقرب بقالة ليأخذ عملات ورقيّة بدلاً من المعدنية .. وتبيّن لي أنّه لا يستطيع زراعة العملات الورقيّة لأنّها تتّسخ وتتبلّل بالماء بشكل يقضي على حياتها كعملة ورقية صالحة للزّراعة !

تصفر (ناتاشا) في إعجاب ، ويسألني (مفتاح) : - وهل جربت أن تفعل مثله ؟!

- جربت كثيراً دون جدوى .. ربما الأمر له علاقة بالرزق وبالتوفيق الإلهي ، أكثر من إمضاء الوقت في المحاولة ..

يهزّان رأسيهما موافقين ..

يقول (مفتاح) :

- هات ريموت التلفاز ، اشتقت لتلك القناة ..

أضحك وأناوله إياه ، يضع على القناة الثقافية .. كان فيها مذيع الأمس الناعس ، ولكنّه كان نشيطاً اليوم ! لا بدّ أنه نام أخيراً .. الحمد لله ..

يقول :

- بعد دراسات مطوّلة بالجيولوجيا الإنسانيّة ؛ تبيّن أنّ الزّنوج كانوا بيض البشرة قبل أن تموت أمّهم الأولى أثناء ولادة جدّهم الأكبر ، في البحر الأسود !

نبتسم جميعاً ، وتقول (ناتاشا) :

- لم أر مثل هذه المحطة من قبل ..

أخطف الريموت من يد (مفتاح) فجأة ، وأضع على محطة أخرى وأقول لها : - هل رأيت مثل هذه ؟!

- ما هذه ؟!

- ماذا ترين ؟!

- ثلوج !

- بالضبط ، هذه القناة اسمها (آيس) ، ولا تعرض سوى صور الثلوج .. أربعة وعشرون ساعة في اليوم !

- لماذا ؟!

- لا أعرف ..

تسأل :

- بالمناسبة ، ما حجم (الفريزر) الّذي يستطيعون فيه إنتاج كلّ هذه الثّلوج في فصل الشّتاء ؟!

نصمت ، فلا جواب لدينا ..

يقول (مفتاح) :

- لدي سؤال مشابه ؛ ما هو عدد (باكيتات) الملح الّتي نستطيع إنتاجها ، إذا قمنا باستغلال بحار العالم ومحيطاته ؟!

نصمت من جديد ، وبناءً على سؤاله أسأل سؤالاً آخر: - لأنك حكيت عن البحار أودّ أن أسأل ؛ ترى ماذا كان سيكون لون السّماء إذا لم يكن البحر أزرق ؟!

يصمتان ..

يبدو أن الألغاز لا تنتهي من هذا العالم ..

أنتقل بالريموت من محطة إلى أخرى ؛ هذا مسلسل سوري ، هذا مسلسل تركي ، هذا برنامج فيه اثنان خليجيان يظنان أنهما مضحكين وهما أكثر أهل الأرض سخافة وتفاهة ، هذا برنامج للتنحيف وتخفيف الوزن على مستوى الوطن العربي ، هذا برنامج مشبوه للغناء ، هذا برنامج تجاري للمواهب ، هذه محطة للكذب السياسي والتدليس الإعلامي !

فجأة رن هاتفي ، أنظر للشاشة ، هذا الرقم الذي رن علي بالأمس ! إنها (كارول) !

- الو .. (كارول) ؟

- مرحباً ، أنا عند باب بيتك ، افتح لي يا (مشهور) ..

أنظر نحو (مفتاح) و (ناتاشا) في انفعال : - إنها (كارول) ، وهي هنا ..

- هنا ؟

كانت هذه من (ناتاشا) ، وبفزع ، قبل أن تذهب مباشرة نحو المرآة لتعدل من مكياجها وشعرها ..

يا للنساء !

أقول :

- دقيقة يا (كارول) ..

واتجهت نحو الباب ، وفتحت لها ..

دخلت من الباب ، ودخلت معها العصافير ، ورائحة الياسمين ، ونكهة المطر حين يرتطم بالتراب !

تسلم علينا ، تصافح (مفتاح) و (ناتاشا) ، يتبادلون الحديث قليلاً ، عن الحياة بشكل عام ، وعن السودان ، وروسيا ، وعن العين ، بالتأكيد ..

يقول (مفتاح) فجأة :

- هل تريدون الذهاب أم لا ؟!

- طبعاً نريد ..

أهتف بها ، ثم أغلق التلفاز ، وأعود لأعتصر كف (كارول) الرقيق بين يدي ..

نحن الأربعة متوترون بشدّة ، أعرف هذا !

أقول :

- هيا بنا ..

نخرج من البيت ، ونركب أول تاكسي يقابلنا ، ونذهب معه بعد أن جلس (مفتاح) في الأمام ، وأخبره عن العنوان، وجلست أنا في الخلف مع (كارول) ، وبجانبها (ناتاشا) ..

مرت أكثر من نصف ساعة ونحن في الطريق ..

كلّنا صامتون !

كلنا نفكر في العين ، وفي الراحة التي سيجلبها لنا ..

العين ..

هذا الكيان الذي يرى كلّ شيء ، ويعرف كلّ شيء ، وبيده حلول جميع المصائب والكوارث التي في حياتنا ..

الدقائق تمرّ كأنها ساعات ، وأيام ، وأسابيع ..

الدقائق تمرّ وكأنها أشهر كاملة !

قلبي يدقّ ، يضخ الدماء بقوّة وسرعة ، وأكاد أسمع هدير أنهار الدماء في جسدي ..

هدير ، وضجّة ، وضوضاء ..

رباه ! متى سنصل ؟!

تمرّ بعض الدقائق قبل أن نصل إلى وجهتنا ..

ما كلّ هذا بالضبط ؟!

زحام شديد .. وسائل إعلام .. رجال .. نساء .. أطفال.. باعة جائلين .. رجال شرطة وقوات أمن عام ودرك .. وسائل إعلام ، صحفيون ، مذيعون ، إخباريون.. الكثير من الكاميرات الضخمة ، والصغيرة .. الكثير من السيارات والحواجز .. أشخاص يحاولون تنظيم الصفوف.. أشخاص يهتفون بميكروفونات كبيرة ، أشخاص يحيطون بدائرة سوداء وسط الأرض ، البقعة ، المكان الذي أخذنا إليه (مفتاح) ..

نتوقف ..

نترجل من السيارة مبهورين ..

نتبادل أنا و (كارول) النظرات ، هذا فعلاً رائع ..

نتأمل ما حولنا بكل استغراب ، وعدم تصديق !

لم نتوقع كلّ هذا الزحام .. لم نتوقع أن يكون الكثيرون جداً في هذا المكان ..

ما هذا ؟!

عدد الأشخاص يتجاوز عدة آلاف كأقلّ تقدير ، لو أردت قول الحقيقة !

- ما رأيك يا (مفتاح) ؟!

يقول بانبهار :

- لا أعرف يا (مشهور) .. لم أتوقع هذا أبداً ..

ننظر حولنا .. نقترب من أحد رجال الشرطة ، ونسأله وكأننا لا نعرف شيئاً عن الذي يدور هنا : - ما الذي يدور هنا ؟!

يجيبنا بصورة آلية وكأنه سئل هذا السؤال مراراً : - إنه العين ، هذا الرجل المذكور في كل الكتب القديمة.. إن موعد ظهوره بعد دقائق معدودة ..

وأشار إلى مجموعة من رجال الشرطة يحيطون بدائرة سوداء وسط الأرض ، والتي رأينها قبل قليل : - .. من هناك سيظهر ، هكذا يقولون .. ولهذا ترون كلّ هذه الجموع هنا .. حاولوا أن تقتربوا أكثر كي تروه ..

نشكره ونبتعد عنه ، ونقترب ببطء ونحن نحاول اختراق الحشود ، القريبة من الدائرة أو البقعة السوداء ..

نقف ونراقب الجميع ..

فجأة اهتزت الأرض اهتزازاً خفيفاً شعرنا به جميعاً ، وهبط ضوء صاخب من السماء نحو البقعة ، ونظرنا جميعاً مشدوهين ..

انطلقت صرخات فزع من الكثيرين ، والتصقت بي (كارول) وكأنها تستمدّ من قربها مني الحماية ، وتوتر بعض رجال الشرطة وأخرجوا مسدساتهم ..

كنا نرى الشعاع الهابط من السماء يكوّن شيئاً ، جسداً ، أشبه بجسد رجل !

تتكاثف الأشعة ، تتكون الأعضاء ، يتوتر الناس ، تصرخ الفتيات في قوّة ، والأشعة تتكاثف أكثر وأكثر ..

أنظر حولي ، أنظر إلى الزحام ، أنظر إلى (مفتاح) و(ناتاشا) الذين يقفان مصعوقين مثلي ، أنظر إلى (كارول) التي تتأمل ما يحدث بترقب ، ولهفة ، وحماس ، وشغف ..

ما الذي يحدث بالضبط ؟!

هل هذا هو العين ؟!

هل هو قادم من السماء ؟!

*****

١١-- مثلنا !

أبصارنا شاخصة ..

عيوننا مثبتة على الشعاع الذي كاد يكمل تكوين جسد العين ، الذي أحضره من السماء ..

دقات قلوبنا تصنع نوعاً خاصاً من الأهازيج الغريبة ..

ترقبنا هائل ..

ذهولنا شديد ..

لهفتنا غير عادية ..

فجأة هدأ كلّ شيء ، وسكنت العاصفة ، واختفى الشعاع، وبقي الرجل ..

بقي العين ..

نظرنا كلّنا إليه ..

هناك صوت موسيقى انطلقت بصورة مباغتة .. هناك صوت دقات رتيبة مستفزّة من مكان مجهول .. صمت من الجميع ..

ثمّ ؛ صوتُ خطوات بطيئة ..

لا نلمح ملامحه جيداً ، لكنّنا نسمعه يقترب من الحشود، يقترب ، ويقترب ، وتظهر ملامحه الشبحية ..

أخيراً ..

ظهر جيداً ..

كان العين -الذي ينتظره جميع الناس- رجلاً ؛ يرتدي بذلة سوداء كاملة ، ونظارة سوداء على العينين ، وبيده عصا طويلة يتوكأ عليها ، مثله مثل أيّ أعمى في هذا العالم !!

في **كيان للنشر والتوزيع**، هدفنا نشر كل إنتاج إبداعي، جودته عالية، وأفكاره أصيلة، في مختلف مجالات الأدب والسياسة والصحافة والفن، باللغة العربية والإنجليزية. نهتم بالمواهب، ونرعاها، ونتيح لها فرصة الوصول للقارئ العربي، مع مراعاة أفضل معايير الجودة والاحترافية في النشر.

رسالتنا في كيان، تشجيع حب القراءة والكتابة في مصر وعالمنا العربي، وتطوير مهارات الإبداع، وتعزيز ثقافة التميز والابتكار. كُتَّابنا موهوبون، متمرسون، مصريون، ومن جميع أنحاء الوطن العربي، وإصداراتنا متنوعة، متميزة، مختلفة. دائمًا نرحب بالكتاب الشباب، والمواهب الجديدة، ونعطي فرصة متساوية للجميع؛ لأن مرادنا هو الارتقاء بفنون الأدب العربي ككل، والوصول بالإنتاجات الابداعية العربية إلى العالمية .

لو تحب **تراسلنا،** لو عندك استفسار، لو حابب ترسل لنا إنتاجك الأدبي، سواء كان رواية، أو شعر، أو مقال، باللغة العربية أو الإنجليزية، ما تترددش. ابعت

لنا على: kayanpub@gmail.com

info@kayanpublishing.com

أو زور موقعنا:

www.kayanpublishing.com

وللاتصال الهاتفي:

هاتف أرضي: **0235688678**

هاتف محمول: **01001872290/ 01005248794 / 01000405450**

ويمكنك التواصل معنا إلكترونيًا على الروابط التالية، للاطلاع على كُتُبنا، ومتابعة إصداراتنا الجديدة، وأنشطتنا وأنشطة كُتَّابنا الثقافية:

Kayan.publishing

kayan_publishing

Kayanpublishing

kayanpubishing

+KayanPubishing

KayanPublishing